مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها

الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jll

تشكلات البلاغة على ضوء اختلاف مقاصدها

Formations of Rhetoric in Light of its Different Objectives

د. هاني بن عبيد الله الصاعدي*

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد والبلاغة، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

Dr. Hani bin Obaidullah Al-Saedi*

Assistant Professor, Department of Literature, Criticism, and Rhetoric, College of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia

تاريخ التقديم: 18/10/2023 تاريخ ارسال التعديلات: 4/1/2024 تاريخ القبول: 22/01/2024

Received:18/10/2023 Revised:4/1/2024 Accepted: 22/01/2024

الملخص:

هذه مراجعة لتاريخ البلاغة من ناحية مقاصدها، وهي ناحية متشعبة تقف خلف كل المعالجات البلاغية للأصول والمسائل والقضايا، وتتشكّل عليها صورٌ للبلاغة تختلف بقدر ما تأتلف، بحسب ترجّح مقصد على مقصد آخر من مصدر إلى آخر، فشرعتْ هذه الدِّراسة تستخلص هذه المقاصد، وتفرزها واحداً واحداً، وترصد تصوّر البلاغيين لها في مسارها التاريخي، وكيف تشكّل من اختلافها بلاغاتٌ مختلفةٌ على ضوء اختلاف تلك المقاصد، وتمايز معالمها، وكيف تجاورت تلك البلاغات وتعاضدت على تكوين تكامل معرفي للبلاغة العربية، قادر على الامتداد والتوظيف والعطاء في مجالات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: تشكلات، البلاغة، اختلاف، المقاصد.

Abstract:

The current research is a review of the history of rhetoric in terms of its objectives, a divergent aspect that underlies all rhetorical treatments of principles, issues, and questions. It explores how images of rhetoric are formed differently depending on the preference for one objective over another from one source to another. The research aims to identify these objectives, analyze them individually, and examine how rhetoricians have perceived them throughout history. It investigates how different forms of rhetoric have developed based on these varying objectives and their distinctive features. Additionally, it examines how these rhetorical forms have been juxtaposed and collaborated to create a cognitive formation of Arabic rhetoric, capable of extension, application, and contribution across different branches.

Keywords: Formations, Rhetoric, Differences, Purposes.

***المؤلف المراسل:** هاني بن عبيد الله الصاعدي

البريد الالكتروني الرسمي : haniasaadi@gmail.com

Doi: https://doi.org/10.54940/ll59422789

1658-8126 / © 2024 by the Authors.

Published by ***J. Umm Al-Qura Univ. Lang. Sci. and Lit.***

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فما من مقولة بلاغية إلا تحرّكت على ضوء مقصد من المقاصد، فالإقدامُ على دراسة مقاصد البلاغة يتطلب استيعاباً تاماً لما كُتب في البلاغة العربية، كما يتطلب قراءة فاحصة لما وراء السطور من مقاصد كليّة ورؤى جامعة تنتظمها المصادر البلاغية، فالمقاصد بمثابة المحركات الداخلية لحركة سير البلاغة من نشأتها إلى استقرارها، وهي الموجّه الرئيسي لمجريات البحث والمعالجة في تلك المصادر.

ومن هذا الواقع البحثي كانت المشكلة الأساسية التي يتطلب هذا البحث الوجيز معالجتها، وهو الكشف عن مسار مقاصد البلاغة من خلال التتبع التاريخي لما نصّ عليه البلاغيون من تلكم المقاصد في عناوين مؤلفاتهم، ومقدّمات كتبهم، أو في أثناء معالجتهم للمقرّرات البلاغية.

وقد اقتضى البحث معالجة المقاصد البلاغية وفرزها واحداً واحداً، بناءً على تحقّقها الموضوعي في تلكم المصادر، وذلك للكشف عن تشكّلات البلاغة على ضوئها، فالمصادر البلاغية وإن بدا لنا – كما كشفت الدراسات البحثية الكثيرة – تأخذ صورة التراكم المعرفي، فلكلّ مصدر سمته الخاصّ في معالجة المقررات البلاغية وفقاً لمقصد مؤلّفه واتجاهه المعرفي، وفي حدود سياقه التاريخي، فليس من الدِّقة العلمية أن نعدّ كتاب (البديع) لابن المعتزّ الذي ألّف في نهاية القرن الثالث، ككتاب (تحرير التحبير) لابن أبي الأصبع الذي ألّف في القرن السابع، لاختلاف البواعث التاريخية والمقاصدية بين الكِتابين، ولا أن نسلك في سلك واحد بين (نقد الشّعر) لقدامة بن جعفر و(الصّناعتين) لأبي هلال العسكري، لمجرد أنّ الثاني أضاف أنواعاً بديعية على ما استخرجه الأول؛ لاختلاف المقصد الأساسي بين الكتابين، ومن ثمّ اختلاف مدخلهما البحثي في معالجة المادة البلاغية، وهذا هو الفرق الجوهري بين هذه الدراسة والدِّراسات المنجزة في تاريخ البلاغة، فسؤالُ غالب تلك الدراسات كان يتركز حول تتبع التراكم المعرفي، وسؤال هذا الدراسة يتوجّه نحو التكامل المعرفي الذي تميّزت به البلاغة في تاريخها المديد.

وعلى هذا فأهداف الدراسة تتركَّز على:

أولاً: الكشف عن تصوّر البلاغيين لمقاصد البلاغة، من خلال تتبع المسار التاريخي لمقولاتهم الصّريحة في ذلك.

ثانياً: استنباط تشكّلات البلاغة التي أُجريت عليها المعالجة البلاغة في مسارها التاريخي، تبعاً لاختلاف مقاصدها، وترجّح بعضها على بعض من مصدرٍ إلى آخر، واستنباط أبرز معالمها التي تميّزها.

ومقاصد البلاغة موضوعٌ على أهميته لم نجد فيه دراسة خالصة إلا دراسة موجزة، هي "البلاغة العربية في ضوء مقاصدها" للدكتور صالح أحمد عبد الوهاب، المنشورة في مجلّة كلية اللغة العربية بالمنصورة، في العدد السابع والثلاثون، 2018م، وهي دراسة حفّها العموم، وقد ذكرتْ ثلاثة مقاصد للبلاغة، وجعلتها عناوين مباحثها، وهي:

المقصد الأول: البلاغة العربية في ضوء النص الفصيح.

المقصد الثاني: تنمية الذوق وصناعة الأديب.

المقصد الثالث: الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني.

ولأنها لم تحرّر أهدافها لم تصل لنتائج لافتة، وكان بعض نتائجها وكثير من أفكارها لا صلة له بموضوع المقاصد، وهاهي نتائج تلك الدراسة:

– أظهرت الدراسة في مقصدها الأول أن النّقاد والبلاغيين لم يُعنوا بالوقوف مع أيّ نصّ كيفما جاء واتفق، وإنما اتجهت عنايتهم إلى النصوص الفصيحة التي تصوّر قيم مجتمعهم وأخلاقهم وفكرهم.. إلى آخره.

– أثبتت الدراسة في المقصد الأول أن اللغة العربية الفصحى هي ميدان البلاغة العربية، وبهذا تفارق البلاغة العربية الأسلوبية والتداولية وعلم النصّ.

– عناية البلاغيين بالنصوص الفصيحة تدحض كلّ فرية تزعم أن البلاغة ليست عربية.

– عنيت البلاغة العربية بالخطاب إنتاجاً وتحليلاً، فاتَّجهت عنايتها بإعداد الأديب القادر على تذوق النصوص ومعايشتها وتمييز جيّدها من رديئها، بل جعلت البلاغة هذا المطلب مقصداً من مقاصدها العامة التي تتجاوز فيه الغرض الديني؛ بغيةَ الوقوف مع الأسرار البلاغية في فنّ القول ومراحل الإبداع.

– يمثِّل الحديث عن وجوه الإعجاز للقرآن الكريم مقصداً دينياً للبلاغة العربية(*).

وقد انتظمت دراساتنا في مدخل ومبحثين وخاتمة، عُني المدخل بإنشاء منظومة من المصطلحات التي تضبط مسار المعالجة، وتوجز عباراته، وتجمع أطرافه، ثم كان المبحث الأول الذي يرصد مسار المقاصد البلاغية في المصادر البلاغية، ويكشف عن تصوّر البلاغيين لها، ثم كان المبحث الثاني الذي يتتبع واقع المقاصد البلاغية وتشكّلات البلاغة على ضوء اختلافها مقصداً مقصداً، ثم كانت الخاتمة وصياغة النتائج صياغة جامعة.

مدخل:

(مصطلحات الدراسة):

من قراءة المصادر البلاغية والدراسات المعاصرة حولها تبيّن أن دائرة الحديث عن المقاصد البلاغية ومتعلقاتها تحوي إطلاقات مختلفة، تعبّر في بعضها عن مفهوم واحد، ولا يتحدد في بعضها المراد منها، من مثل كلمات: "الاتجاه"، و"الغرض"، و"الباعث"، و"العامل"، و"الدافع"، و"المنهج"وما تضاف إليه، كأنّ يُقال: الاتجاه العلمي، والاتجاه الأدبي، والاتجاه التقنيني، ويقال: الباعث الديني، والباعث الأدبي، ويقال: العامل الديني، والعامل الأدبي، ويقال: الغرض الأدبي، والغرض العلمي، والغرض الديني، ويقال: المنهج الأدبي، والمنهج التقعيدي، وكلُّ هذه مما يُساق في صلب مقولات المقاصد البلاغية، ومنه نشأ بعض الاضطراب في بعض تلك الدِّراسات، فوجب حينئذٍ أن يُصطفى من تلك الألفاظ ما يُصطفى، وتحرّر تحريراً يُزيل التعالق ويكشف عن التمايز، ويكون أكثر اعتلاقاً بالمعنى اللغوي وظلاله؛ ليتضح مسير الدِّراسة من أولى خطواتها.

ثم كان من نتيجة قراءة المصادر البلاغية أن وجدنا البلاغة في تلك المصادر بلاغات، تبعاً لاختلاف مقاصدها، وهذه نتيجة عامّة يُستحسن التقدّمة

(*) العدد المشار إليه من المجلة، (ص725 إلى ص727).

بها، والاعتماد عليها، فأضفنا لكلٍّ بلاغة صفتها اللائقة بها، وكان من مُقتضيات المعالجة الموضوعية ودواعي الإيجاز التعريفُ بتلك البلاغات.

فهاهنا حقلان، حقلٌ يخصّ المقاصد، وحقلٌ يخصّ البلاغة.

حقل المقاصد:

– **المقصد:** نقل الأزهري عن اللَّيث: القَصْدُ اسْتقامةُ الطَّريق، قَصَدَ يَقصِدُ قَصْداً[1]. والمقصِد اسم مكان أو مصدر ميمي، جمعه مقاصد، ومقاصد الإنسان في أعماله أغراضُه التي يتوّلد منها الفِعلُ أو يَسْعى إلى إيجادها، فتطلق على الأهداف والأغراض، وتطلق من وجه آخر على الثّمار والنتائج، وقد أبقيناها على عمومها لتستوعب هذا وهذا، وقد يتحقق المقصد فتظهر آثاره، وقد لا يتحقق فيبقى في حيّز الآمال والتطلعات.

– **الاتّجاه:** مشتق من الوجه، وكذلك الجهة، والهاء عوضٌ عن الواو، وكأنَّ هناك عدة اتجاهات للوصول إلى المقاصد، فيُعبّر عن كلّ طريق بالاتّجاه، وهو قريبٌ جدّاً من المنهج والمقصد.

– **المنهج:** أعمّ من الاتجاه وأدّق منه، فهو يُعبّر عن الأدوات والطرق الواضحة في الوصول إلى المقاصد[2].

حقل البلاغة:

– **البلاغة الإنشائية:** هي البلاغة التي تُعنى بكيفيّات إنشاء الكلام البليغ، فتقدّم المادة البلاغية في قالب التوجيهات والطرائق لإبداع الكلام البليغ، وتوجّه خطابها للمنشئ شاعراً أو ناثراً، ويكون اهتمامها بالشواهد وتحليلها أكثرَ من اهتمامها بالتقعيد والتقسيم.

– **البلاغة النقدية:** هي البلاغة التي تُعنى بتقويم النصّ الأدبي، وإبراز ما فيه من محاسن ومساوئ، وتوجّه خطابها في الغالب للناقد والمتذوّق، ويكثر في نصوصها الأوصاف التي يُنعت بها الكلام واللَّفظ والمعنى والنظم.

– **البلاغة التفسيرية:** هي البلاغة التي تكشف عن معنى النصّ بأدوات بلاغية، من خلال تفسيره وتأويله، وتركّز على دلالات اللفظ وما تؤول إليه معاني التراكيب والأساليب والصّور، وتلامس المناحي التي اختلفتْ في تأويلها الأنظار.

– **البلاغة الإعجازية:** هي البلاغة التي اتخذت من البحث عن مناط الإعجاز البلاغي في القرآن مجالاً لها، فشرعت تبحث في البلاغة عن الدلائل الموصلة إلى تلك الغاية بعيدة المنال.

– **البلاغة العلمية:** هي البلاغة التي نحتْ نحو تأسيس بلاغة موضوعيّة في إطار قواعد ومصطلحات وتقسميات، ووضعت مباحثها في منوال واحد؛ ليسهل على الدارس تعلّمها واستثمارها وتعليمها.

المبحث الأول: مقاصد البلاغة في تصوّر البلاغيين.

ما من عالم يكتب في علم من العلوم إلا وفي ذهنه مقصد من مقاصد العلم الذي يكتب فيه، سواء أظهر ذلك أم دلَّت عليه تفاصيل مسائله وبناء عباراته، فالحديث عن مقاصد العلوم هو من وجه آخر تفحّص في تاريخها، بدايةً من نشأتها إلى مرحلة استقرارها على صورة معينة، وهذا ما يجعل البحث في المقاصد واسعاً متشعباً لا يحدّ بمادة مختارة، ولا يقتصر على مرحلة من المراحل.

والبلاغةُ في تكونها مرَّت –كشأن كلّ علم – بأطوار مختلفة، ومشارب متنوعة، واحتاجت إلى خمسة قرون لتستقرّ على صورة معينة من العلمية والتقنين أصبحت تُعرف بها، غير أنه هذه الصورة ليست هي الصورة الفضلى، ولا هي الصورة التي تظهر فيها كلّ مقاصدها؛ ولذا يكون واجباً في البحث والتقصي عن مقاصد البلاغة النظرُ في التاريخ البلاغي، لا على اعتبار التراكم المعرفي الذي ترى فيه اللاحق يستوعب السابق، وإنما على اعتبار التكامل والتنوع، الذي تسمع من مجموعه أصواتاً مختلفة تتنادى فيما بينها، "كأنما هي ألحانٌ منسجمةٌ في قطعة كاملة، لا معنى لها وحدها ولا معنى للقطعة بدونها"[3].

على أننا نحتاج إلى خطاطة عامّة لمسيرة البلاغة، وتصنيف يتناسب مع واقع مقاصدها، ومساحة المادة البلاغية، فنقول: إن البلاغة مرتْ بثلاث مراحل، هي متعاقبة ومتداخلة في آن واحد، ويصعب تحديد بداية كلّ مرحلة ونهايتها.

مراحل تكوين البلاغة:

– **المرحلة الأولى: مرحلة الشَّذَرَات:** تسميتها بالشَّذرات يُعبّر عن حقيقتها وقيمتها العالية، خِلافاً لمن سمّاها ملاحظات بيانية[4]، ولمن لم يراعِ سياقها التاريخي ولا قيمتها البلاغية حين وصفها بالملاحظات السَّاذجة[5]، وهي اللمحاتُ المختصرة، والومضات الموجزة التي جادت بها ألسنة الشّعراء والأدباء والنّقاد والعلماء قبل تدوين العلوم، من مثل المرويّات النقدية التي نُقلت إلينا من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني، ويدخل في ذلك تعاريف البلاغة المنتمية إلى تلك الحقبة.

في هذه المرحلة كانت البلاغة فناً قوليّاً مؤثّراً، فكانت مقاصدها المؤخوذة من مقولاتها متجهة إلى البلاغة الإنشائية، وإن ظهرت بعض الأصول البلاغية التي اعتمدت عليها فيما بعد البلاغة النقديّة والبلاغة العلمية.

– **المرحلة الثانية: مرحلة النَّظَرات:** وهي مرحلة اتسع فيها النّظر والملاحظة، وأخذت المادة البلاغية تتوسع لتصبح أداةً فضلى في النقد والتّفسير والتأويل والتوجيه، وفيها ظهرت بعض المصطلحات، وأصبحت المادة البلاغية تأخذ صورة التعليقات الشارحة في نقد وتفسير وتأسيس كثير من أصول العلوم التي نشأت البلاغة في أحضانها، كالعلوم الأدبية والعلوم القرآنية والعلوم اللّغوية، وهذه المرحلة تمثّلها بدايات مرحلة تدوين العلوم، مثل(الكتاب) لسيبويه (180هـ)، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة (209هـ)، و(معاني القرآن) للفرّاء (207هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (215هـ)، وكتب الجاحظ (255هـ)، وكتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (276هـ)، وكتبُ إعجاز القرآن الأولى، كرسالة الخطابي (288هـ) (بيان إعجاز القرآن)، وكالكتب النقدية من مثل (الموازنة بين الطائيين) للآمدي (371هـ)، و(الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني (392هـ).

وفي هذه المرحلة أُشربتْ المادة البلاغية بطعوم مختلفة، وأخذت البلاغة تتصل بكلّ ما يمدّها بالخصوبة والنّماء من العقول المختلفة، والعلوم المتنوعة، فاتسعت دائرة مقاصدها، وتنوّعت من ذلك التّنوع التي صُبغت به، فنشأتْ البلاغية العلمية ذات المصطلحات والتقسيمات المنهجيّة، واتسعتْ البلاغة النقدية وكثرت مقولاتها، وظهرت البلاغة التفسيريّة بصورة لافتة واتسع نطاقها، ونشأت البلاغة الإعجازية التي تتعلق بالكشف عن

وجه الإعجاز القرآني.

– المرحلة الثالثة: مرحلة الدِّراسات: وهي المرحلة التي استقلّت فيها البلاغة، وتمحضت فيها المؤلفات بالمادة البلاغية، وكانت أوّل محاوّلة هي دراسة ابن المعتزّ (296هـ) في كتابه (البديع)، وكان مقصده نقدياً إلا أنّ صورة البلاغة في كتابه أخذت طابع التأطير العلمي بصورة عامّة، وتتابعت المؤلفات على نهجه كصنيع قدامة بن جعفر (337هـ) في (نقد الشعر)، وأبو هلال العسكري (395هـ) في (الصِّناعتين)، وابن سنان الخفاجي (466هـ) في (سرّ الفصاحة)، واستقرّت هذه المرحلة عند تقنين السكاكيّ (626هـ) في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم)، وكانت دراسات عبد القاهر (471هـ) في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وتطبيقات الزمخشري (538هـ) في تفسيره (الكشَّاف)، هي الصورة المثلى لهذه المرحلة، بما توافر فيها من تفصيل وتحرير وإبداع وتطبيق، ويمكن أن نقول إن هذه المرحلة قد اكتملتْ فيها البلاغة العلمية، وكان العامل الأكثر تأثيراً في ذلك هو البحث عن البلاغة الإعجازية.

وبطبيعة الدراسات التخصصية والمرحلة التاريخية فقد بدأ التصريح بمقاصد البلاغة على ما تقتضيه تلك الدراسات من تأكيد فضل علم البلاغة، وثمراته، وأثره في الإنسان، وصلته بالدّين والعلم والأدب.

وقبل الشَّروع في عرض المصادر البلاغية التي صرَّحتْ بذكر مقاصد البلاغة أودّ التنبيه إلى أمرين مهمين:

الأول: التمييز بين جهتين في إطلاق مصطلح البلاغة، –فبالرغم من أهمية هذا التمييز الذي يمنع من اختلاط المفاهيم وإرباك الأنظار وتحديد جهة النظر، لم نرَ من أفصح عنه من البلاغيين سوى الدّسوقي (1230هـ) في حاشيته[6]، حتى كأنَّ البلاغيين المتأخرين استغنوا بتعريف البلاغة عن تعريف علم البلاغة، فقليلاً ما يوقف على تعريف للبلاغة بكونها علماً، كما فعل الطاهر ابن عاشور (1993هـ) في موجزه في العصر الحديث، فقد عرّف علم البلاغة بأنه: العلم بالقواعد التي بها يُعرف أداء جميع المراد بكلام ذي أساليب خاصّة واضحة، مع ما يعين على قبوله، وذلك بتوفيته خواصّ التراكيب حقَّهَا، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وإيداع المحسّنات بلا كُلفَة، مع فصاحة الكلام[7]، وقد نقلتُ عن هذا الشّرح؛ لأن سائر طبعات الكتاب حَصلَ فيها سقطٌ في هذا الموضع، وواضح تأثر ابن عاشور بتعريف السكاكيّ، بيد أنّ ما يميّزه مراعاته للمدخل العلمي بقوله: "العلم بالقواعد"–. جهة أولى تستعمل بمعناها المصدري، ولها معانٍ كثيرة، طرحت في مرحلة الشذرات ومرحلة النظرات، واستقرَّ معناها في مرحلة الدراسات على "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، وجهة ثانية تستعمل في معناها العلمي، أي: علم البلاغة، وهذا ما استقرَّتْ عليه بعدما أُطلق عليها طوراً علم البديع وعلم البيان، وتفرّقت مباحثها طوراً آخر على علمي المعاني والبيان.

الثاني: أنَّ عنايتنا في تتبع مسار المقاصد من واقع علم البلاغة في مرحلة الدِّراسات دون مرحلتي الشَّذرات والنَّظرات؛ وذلك لأنَّ المقاصد في تلك المرحلتين كانت تعيش في جَنَبات المسائل وبواطن القضايا وميادين التطبيقات، وواقع ذلك واسعٌ لا يتسع له هذا المقام؛ إذ القصد هو الوقوف مع التّصوّر النظري لدى البلاغيين عن المقاصد، واهتمامهم بها.

أوّل محاولة لاستخلاص المقاصد البلاغية:

جاء كتاب (الصِّناعتين) لأبي هلال العسكري (395هـ) عقِبَ مرحلة النّظرات، التي كان خير ما يمثّلها ما كتبه الجاحظ (255هـ) في (البيان والتبيّن)، وبعد خطوتين خطتها مرحلة الدِّراسات، كانت الأولى على يد ابن المعتز (296هـ) في كتابه (البديع)، والثانية على يد قدامة (337هـ) (في كتابه (نقد الشعر)، كانت الخطوة الثالثة هي خطوة أبي هلال (395هـ)(*)، والتي أراد من خلالها صناعة بلاغة منظمّة، يرتّب فيها ما تناثر في تضاعيف كتب مرحلة النّظرات، وكان دافعه المساند مع هذا التصنيف المرتّب ما وجده من تخليط بعض أعلام العربية فيما رامُوه من اختيار الكلام، وما وقف عليه من "موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من النّبل والشرف"[8]، فكان أوّل ما بدأ به كتابه بيان المقاصد من تعلّم البلاغة، وهي ناحية لا نعلم أحداً قبله أفردَ لها وقدَّم بها.

ومحصّل ما فصَّله أبو هلال من مقاصد البلاغة أربعة:

الأوّل: معرفة إعجاز القرآن.

الثاني: معرفة الفرق بين الكلام الجيّد والكلام الرديء.

الثالث: حسن إبداع الكلام البليغ.

الرابع: حسن اختيار الكلام[9].

ولا يخفى أنّ الأوّل يخصّ البلاغة الإعجازية، والثاني والرابع يخصّ البلاغة النَّقدية، والثالث يخصّ البلاغة الإنشائية، وأن ترتيبها جاء بحسب الأهمّيّة في وعي ناظمها، وربما بحسب السِّياق العلمي لكتاب (الصِّناعتين)، الذي جاء في القرن الذي كثُر فيه الحديث عن قضية الإعجاز، وما استتبع ذلك من سُبُل الوصول إلى ذلك المقصد الأسنى، وإن كنّا نحسب أنَّ عنوان الكتاب ومادّته الأدبية بمنأى عن هذا الترتيب، فقد عُني أكثر ما عُني بالبلاغة النقدية والبلاغة الإنشائية، وقصدَ في ذلك مقصدَ صُنَّاع الكلام من الشُّعراء والكُتّاب لا مذهب المتكلمين[10]، وهذه مباعدةٌ أخرى عن البلاغة الإعجازية الذي عُني بها أوّل الأمر المتكلمون، وهذا يعني أن خطوة أبي هلال أخذت قيمتها من استخلاص المقاصد المضافِ إلى موقعها في مفتتح الكتاب مع حسن ترتيبها، وهذه قيمٌ منهجيّة في حسن التأليف.

المقاصد الإنشائية في سبيل الدِّفاع عن علم البلاغة:

في فاتحة كلام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) عن فضل العلم عقَّبَ بذكر فضل علم البلاغة الذي سمّاه علم البيان، فكان لا بدَّ أن ينصبّ حديثه عن قيم البيان ومقاصده الإنشائية، قال: "ثم إنَّك لا ترى عِلماً هو أرسخَ أصلاً، وأبسقَ فرعاً، وأحلى جنى، وأعذبَ ورداً، وأكرمَ نتاجاً، وأنورَ سراجاً، من علم

(*) قد يتساءل الناظر عن خطوة الرماني (286هـ) ومكانها من تاريخ البلاغة، والواقع أنها خطوة أشبه بمرحلة الدارسات، وإن كان مقصدها الأساسي ليس بلاغياً، وتأثيرها واسعٌ فيما جاء بعدها، غير أننا لا نحسب أنَّ أبا هلال العسكري وهو معاصر للرُّماني قد اطّلع عليها.

البيان، الذي لولاه لم ترَ لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرّ، وينفث السِّحر، ويقري الشَّهد، ويُريك بدائعَ من الزَّهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر، والذي لولا تحفيّه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنةً مستورةً، ولما استنبتَ لها يَدَ الدَّهر صُورة، ولاسْتمرّ السِّرار بأهلَّتها، واستولى الخفاءُ على جُملتها، إلى فوائدَ لا يُدركها الإحصاء، ومحاسنَ لا يحصرها الاسْتقصاء"[11].

وأوّل ما يستوقف في هذا النصّ أدبيّته، وكأنّه أراد أن يُدعّم مضمونه بهذا النّمط العالي، ونحن نعلم أنّ التعبير الأدبي عن حقيقة ما في سياق علميّ يعكس القيمة القصوى لتلك الحقيقة، وهذا جليٌّ أيضاً من الجمل المتعاطفة على إثبات معنى واحد: أرسخ أصلاً، وأبسق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً.. / ويحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرّ، وينفث السحر... إلى آخره.

والنصّ يكشف عن مقاصد البيان بصفته بياناً، وتلك مقاصد لا يُدركها الإحصاء، ولا يحصرها الاستقصاء كما يقول عبد القاهر، ولكنّ إضافة تلك المقاصد أو الفوائد إلى البيان بصفته علماً يجعلنا أمام تأويلين:

الأول: أن علم البيان في رأي عبد القاهر لا ينفكّ عن البيان، وأن مقاصد هذا من مقاصد هذا، وإهمال العلم إهماله لمجاله الذي بُني عليه.

الثاني: أن علم البيان هو البيان نفسه، وإطلاق العلم حينئذٍ لا يعني الصِّناعة العلمية، وإنما إطلاقه يجري مجرى الدّلالة اللّغوية التي تفيد مطلق الإدراك.

ولا نستطيع الترجيح بين التأويلين، بيد أنه من الواضح أن عبد القاهر في سياق الدّفاع عن علم البلاغة عما لقيه من الضَّيم، ومُني به من الحيف، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه[12]، فكان من منطق الدِّفاع الإتيانُ إلى الخصم من الجهة التي لا يُجادِل فيه، وأن يتجاوز المقاصد الحاجيّة لطالب الأدب والعلوم التي أشار إليها أبو هلال العسكري إلى المقاصد الضَّرورية الملازمة للبيان، والتي تتمحور حول:

المقصد الأول: إنشاء البيان والتمهّر في حوكه وصياغته.

المقصد الثاني: تعبيره عن العلوم، وتحفّيه بها، وعنايته بها، وتصويره إياها.

فلولا علم البيان ما كان لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ولولا علم البيان ما كان علما مستباناً ولا معرفة مكشوفة، والمقصد الثاني معتمد على الأول، ولكنّ عبد القاهر أفرده ليناسب السِّياق الدفاعي لدى من يجادلهم من الطائفة المنتسبة للعلم، والتي هوّنت من شأن علم البيان، وساءَ اعتقادها في الشّعر والنّحو، وكأنما يردّ الطائفة التي هوّنت من شأن الشِّعر إلى المقصد الأول، ويردّ الطائفة الثانية التي هوّنت من شأن النَّحو إلى المقصد الثاني(*).

ولا يخفى أن ذينك المقصدين يؤولان إلى ما نسميّه في اصطلاح الدراسة البلاغة الإنشائية، وهي أساسٌ لكلِّ البلاغات من حيث الوجود والتصوّر، ولولاها ما وجدت تلك البلاغات، فعبد القاهر وإن كان يرنو إلى الكشف عن البلاغة الإعجازية، وقد كشف عن البلاغة العلمية، فإنه في حديثه عن فضل علم البيان وبيان مقاصده قد آب إلى أصل الأصول، ولم يبرحه إلى المقاصد النّظرية كمعرفة الإعجاز ومعرفة طبقات الكلام، والتي تناسب موضوع كتابه؛ اغتناءً بالمقصد العملي واكتفاءً به.

المقاصد البلاغية أعلى المقاصد البيانية:

كان ابن سنان الخفاجي (466هـ) معاصراً لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)؛ مما حجب عنه تأثيره، فسلك مسلك مَن لم يطلع على ما كتبه عبد القاهر الجرجاني، وصوّب غرضه بكتابه (سرّ الفصاحة) نحو معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرّها، وأوجبَ أن يُبيّن ثمرة ذلك وفائدته لتقع الرغبة فيه، فقال: "أما العلوم الأدبية فالأمرُ في تأثير هذا العلم فيها واضحٌ، لأنَّ الزُّبدةَ منها والنُّكتةَ نظمُ الكلام على اختلاف تأليفه، ونقدُه ومعرفةُ ما يُختار منه ممّا يُكره، وكلا الأمرين متعلقٌ بالفصاحة، بل مقصورٌ على المعرفة بها"[13].

ومراده بالعلوم الأدبية كل علوم اللُّغة، والتي مقصدها الأساسي إعانة المنشئ على نظم الكلام على اختلاف تأليفه، وعون الناقد على نقد الكلام ومعرفة طبقاته، وتحصيل هذين المقصدين متوقفان على معرفة حقيقة الفصاحة، أي: معرفة علم البلاغة، وقد سبق إلى الإفصاح عن ذلك أبو هلال العسكري، وأما عن المقصد الإعجازي الذي قدَّمه أبو هلال وأكدَّه، فقد أخرّه ابن سنان لأنّ رأيه فيهِ فيهِ تفصيلٌ؛ لمكان الخلاف فيما كان به القرآن معجزاً، فإذا كان الإعجاز حاصلاً بفصاحته، فلا مندوحة عن بيان ما الفصاحةُ التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر، وإن كان وجه الإعجاز في صرف العرب عن المعارضة، مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصَّرف، فأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة إلى تحقيق معنى الفصاحة، ليقطع على أنَّها كانت في مقدورهم، ومن جنس فصاحتهم[14].

ومن الملاحظ أن ابن سنان يزيد على أبي هلال في أنه رفع مقصد البلاغة إلى أعلى الرّتب، ببيان ترتّب مقاصد العلوم الأدبية على تحقيق ذلك المقصد، فنظر إلى مقاصد البلاغة من دائرتها الأوسع، ومركز البلاغة الأسمى من العلوم التي نشأت البلاغة في أحضانها، وقد عبّر عن ذلك – فيما بعد – صاحبُ الطرّاز بعبارة أدبيّة، فقال: "فإنَّ العلوم الأدبية وإن عظم في الشَّرف شأنها، وعلا على أوج الشمس قدرُها ومكانُها، خلا أنَّ علمَ البيان هو أميرُ جنودها، وواسطة عقودها، وفلكها المحيط الدائر، وقمرها السامر الزاهر"[15].

وإذا كان عبد القاهر قد أتى – على مقتضى سياقه في الدفاع عن علم البيان – إلى سُلَّم المقاصد من أساسه العريض، فابن سنان قد صَعدَ بالمقاصد إلى أعلى السّلّم ودرجته الأخيرة، وهذه صورة من صور التكامل المعرفي في تراثنا البلاغي.

المقصد الإعجازي في ضوء تفسير القرآن:

عند مرحلة عبد القاهر كانت قد تأسّست البلاغة العلمية ذات القوانين والقواعد القادرة على تفسير النصّ وتحليله، فكان أن واصل هذا الطريق جار الله الزمخشري (538هـ)، واعتدّ بعلم البلاغة أداة أساسيّة في الكَشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وأبان في مقدمة تفسيره عن مقاصد البلاغة بطريقة عكسيّة وغير مباشرة، من خلال

(*) اقتطع الفخر الرازي (606هـ) نصّ عبد القاهر الجرجاني، ووضعه في مقدمة كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، فلم يكن له في سياقها ذلك الالتئام كما كان في سياق (دلائل الإعجاز).

التنبيه على عِظم علم التفسير، والذي هو أملأ العلوم بالقرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نُكتٍ يَلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقّ سلكها، وربطِ ذلك بالبراعة في علم المعاني وعلم البيان، اللذين هما علم البلاغة، "فالفقيه وإن بَرَزَ على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرّية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللُّغوي وإن عَلَك اللُّغات بقوّة لحييه، لا يتصدّى أحدهما لسلك تلك الطّرائق، ولا يَغوص على شيءٍ من تلك الحقائق، إلا رجلٌ برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة"[16].

فتحَ الزمخشري هذا الباب من التفسير المعتمد على البلاغة، وقد اقتضى منه هذا الاستفتاح الواجب في بيان قيمة علم التفسير المبنيّة على الاستعانة بعلم البلاغة في استنباط النكات التي يلطف مسلكها، ومستودعات الأسرار التي يدقّ سلكها، وجعل هذين العلمين مختصين بالقرآن، وهو تنبيه لم نره عند أبي هلال وعند عبد القاهر، وفيه ما فيه من الإشارة إلى البلاغة الإعجازية في تكوين علم البلاغة.

ويمكن أن نشير إلى أنَّ الزَّمخشري قد اكتفى من مقتضى عمله في التفسير بالمقصد النّظري العلمي عن المقاصد الأخرى، وهو مقصد قد توسّع عملياً مع البلاغة العلمية، واستحوذ على المؤلفات البلاغية بعد ذلك.

الاستقرار على المقاصد العلمية:

أحسن عبد القاهر في تأسيس علم البلاغة، وأحسن الزمخشري في تطبيقه لمقررات عبد القاهر في استنباط دقائق النظم القرآني، ومستودعات أسراره ووجوه تأويله، وهذا ما وجَّه الدّراسة البلاغية إلى المقصد الإعجازي، وربطها به، ولذلك رأينا أوّل ملخّص لعلم البلاغة، وهو فخر الدين الرازي (606هـ)، يُفرد علم البلاغة بمقصد معرفة الإعجاز في عنوان كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، وامتدّ على هذا المسار ابن الزَّملكاني (651هـ)، فسمّى كتابه (التبيان في علم البيان المطّلع على إعجاز القرآن)، وجاء بعده الإمام يحيى العَلَوي (745هـ) فسمّى كتابه (الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، ثلاثتهم تحدثوا عن فضل علم البلاغة، وربطوها بمعرفة الإعجاز، وكان أفضلهم حالاً من ضمّ إلى هذا المقصد بيان أسرار البلاغة في كلام العرب، مشيراً إليه في عنوان كتابه، ومصرّحاً به وبلفظ المقاصد حين حديثه عن ثمرة علم البيان، وهو الإمام يحيى بن حمزة العلوي[17]، وهي أوّل مرة يُقابلنا فيها إطلاق المقاصد على هذا المعنى في التاريخ البلاغي، وبذلك كانت المقاصد لا تخرج عن مقصدين:

الأول: بيان أسرار البلاغة.

الثاني: معرفة دلائل الإعجاز.

وهما المقصدان الأساسيان اللذان بنى عليهما عبد القاهر معالجاته، وكشف عنهما عنونته لكتابيه، وقد خفتْ صوت المقصد الإنشائي بالبلاغة مع تمحض البلاغة للصورة التقعيدية عند السّكاكي، وبذلك كانت دراسة عبدالقاهر الجرجاني هي الخطوة الفارقة في تاريخ البلاغة، حيث كان التأسيس الفعلي لعلمٍ منضبط ذي أصول وقواعد وحدود، وكان المقصد الأساسي منها الكشف عن تفسير علمي مفصّل لما وجده عبد القاهر من رموز وإشارات في كلام سابقيه عن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، ومن هذه الخطوة الواسعة تحوّلت البلاغة إلى علمٍ في تحليل البيان والكشف عن خصائصه ومزاياه، ودخلتْ البلاغة الإنشائية في أحضان البلاغة العلمية.

وقد كان اعتماد السكاكي (626هـ) على المنهج العلمي في صناعة البلاغة مؤثّراً في إعادة صياغته البلاغة وبلورتها في قوانين ومسائل، تتوافق مع تقريبها لأهل زمانه، كذلك كانت مقاصده التي نصَّ عليها في مقدمة كتابه تنحصر في المقاصد العلمية؛ إذ كان غرضه صياغة علم للأدب، يعين على حسن الإنشاء وعلى حسن التلقي، غير أن مدخله إلى المطلبين كان علمياً، فبعدما تعرّض لصعوبة علم الأدب، خصوصاً في جانب التلقي لمراد الله تعالى من كلامه، قال: "ولما كان حال نوعنا هذا ما سمعتَ، ورأيتُ أذكياءَ أهل زماني الفاضلين، الكاملي الفضل، قد طال إلحاحهم عليّ في أن أصنّف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظّ منه، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كلّ ذكي، صنّفت هذا، وضمنتُ لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية"[18].

وقد أكّد شُرّاح التخليص على هذه المطالب العلمية، والمتمثّلة في مقصدين كما تقدّم، فقال الخطيب القزويني في التلخيص: "علمُ البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً وأدّقها سِراً؛ إذ به تعرفُ دقائق العربية وأسرارها، ويكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها"[19].

ويقابل هذا الاتّجاه العلمي كان هناك اتجاهٌ أدبيٌّ يمثّله ابن الأثير (637هـ) في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وابن أبي الأصبع المصري (654هـ) في كتابيه (تحرير التحبير) و(بديع القرآن)، وهذا الاتجاه لا يخلو من أهمّ معلم من معالم البلاغة العلمية، وهو الاصطلاح والتعريف والتقسيم، لكنه لم يضع لها مِنوالاً كليّاً، ونموذجاً جامعاً كما فعلت البلاغة العلمية، فمن أجلِ ذلك كلّه لم يستطع منافستها في الاستمرار والانتشار، برغم اتساع ذلك الاتجاه الأدبي بالمقصد الإنشائي وقُربه من جوهر الأدب وروحه.

المبحث الثاني: مقاصد البلاغة والبلاغات المختلفة.

في طريق البلاغة من الفنّ إلى العلم تشكّلتْ على صور مختلفة، وأُشربتْ بطعوم متنوعة، ووظفتْ في مجالات متعددة، وذلك تبعٌ لتعدد مقاصدها، والذين لم يروا منها سوى المقصد الفني والمقصد العلمي هم في حقيقة الأمر قد رَضوا بالإجمال عن التفصيل، وبالصورة الظاهرة التي يراها كلُّ أحد، تماماً كأولئك الذين قَصَروا اتجاهات الدرس فيها إلى اتجاهين: اتجاه علمي واتجاه أدبي، أو نظروا من زاوية بواعث نشأتها وتطورها، فحصروها في الباعث الديني والباعث الأدبي، أو كالذين قَصَروها على المقاصد العلمية في فهم الكلام وبيان أسراره.

والذي يدلّ عليه التتبع البحثي أنّ البلاغةَ في واقع مصادرها بلاغاتٌ متداخلة، يرفد بعضها بعضاً، ويؤثّر بعضهم في بعض، ولا يَستغني بعضها عن بعض؛ لكن ثمةَ ما يُميّز بعضها عن بعض إذا نظرنا إلى كلّ بلاغة من جهة مقصدها قبل أن تستقرّ البلاغة على صورتها العلمية المقنّنة.

ومن دلائل أنّ البلاغة بلاغات أمران:

الأول: أن مجالَ البلاغةِ البيانُ القولي، والبيان من طبيعته الاتساع وتعدّد الوجهات، فلو قلنا كما قال عبد القاهر: إنه لولا علم البيان لم تر لساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي، أو بعبارة علميّة: لم تر لساناً يعبّر عن نفسه تعبير كاشفاً ومبدعاً، ولولا تحفيّه بالعلوم وعنايته بها، لبقيت كامنة مستورة، ما بَقِي عندنا مجالٌ من مجالات القول في البيان الإنساني إلا دخلته هذه البلاغة.

الثاني: أن البلاغة هو أكثر علم شارك في تكوينه العلماء على اختلاف علومهم وتوجهاتهم، من المفسّرين واللغويين والمحدثين والأدباء والنحويين والمتكلّمين والأصوليين والنّقاد والفلاسفة، ومن آثار ذلك أن انجذبتْ البلاغة إلى تلك العلوم، وتشرّبت بشيء من خصائصها ووظائفها.

ومن هاتين الخصيصتين اتسمت البلاغة بالرَّحابة والاتِّساع والشُّمول، ووُجد فيها من بذور المذاهب والمناهج التالية لها – وربما الغريبة – عنها ما وُجد، بيد أننا لن ننساق إلى القراءات الإسقاطية؛ لأن طريقنا مختلفٌ عنها تماماً، فلن نستند إلى تلك البلاغات التي كانت نتيجة لقراءة البلاغات في ثقافة غيرنا، كتقسيم البلاغة إلى بلاغة جمالية وبلاغة حجاجية، أو تقسيمها إلى بلاغة وجدانيّة وبلاغة اجتماعيّة، وهلمّ جراً.

كما استبعدنا الأوصاف التي تُلازم البلاغة ولا تقتسمها، كالبلاغة الفنيّة والبلاغة الأدبية، أو الأوصاف التي تضاف للبلاغة بحسب مجالها، كالبلاغة القرآنية والبلاغة الشّعرية والبلاغة النثرية، أو بحسب مناهجها كالبلاغة الأدبية والبلاغة الكلامية.

وصوّبنا النَّظر إلى تشكّلات البلاغة باعتبار مقاصدها المختلفة، فاستكشفنا خمسة مقاصد، نشأ من كلٍّ واحد منها بلاغةٌ متميّزةٌ بذلك المقصد، وهي بحسب السّياق التاريخي:

1- المقصد الإنشائيّ = البلاغة الإنشائيّة.

2- المقصد النَّقديّ = البلاغة النقديّة.

3- المقصد التَّفسيريّ = البلاغة التفسيريّة.

4- المقصد الإعجازيّ = البلاغة الإعجازيّة.

5- المقصد العلميّ = البلاغة العلميّة.

وننبّه مرةً أخرى إلى أن هذه البلاغات لا تتفاصل، وإنما هي في واقعها التاريخي وتحقّقها الموضوعي تتكافل وتتكامل.

الأول: المقصد الإنشائي (البلاغة الإنشائيّة):

كيف يُصبحُ الإنسان بَليغاً؟ كان البحث عن إجابة عن هذا السؤال الإرشادي هو وجهة كبرى للبلاغة في مرحلتي الشّذرات والملاحظات، وقد استندت في البحث عن تلك الإجابة إلى الإجابة عن السؤال التاريخي: كيف أصبح البليغ بليغاً؟ وكان هذا منسجماً مع الإحساس بتناقص الفصاحة والبلاغة لدى المحدثين، وإيماناً بالكمال البياني الذي عليه الأقدمون في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، فكانت البلاغة لا تُطلق إلا صفةً على الكلام أو للمتكلّم، وكان الخطابُ فيها يوجّه إلى منشئ الكلام وصانعه.

هذان المعلمان اللّذان يميّزان المقصد الإنشائي عن غيره قد لازمَ البلاغةَ في كلّ مراحلها، على اختلاف صوتهما جَهَراً وهمساً، ومساحة مادتهما ضِيقاً واتساعاً، وحملت مرحلة الدراسات مؤلفاتٍ بلاغية كان دافعها الموجّه لمباحثها هو المقصد الإنشائي، تجلّى ذلك في عناوينها، ككتاب (الصِّناعتين في الكتابة والشعر)، وكتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وكتاب (منهاج البُلغاء وسِراج الأدباء).

والسياق التاريخي الذي كان يعيشه الجاحظ (255هـ) يبرّر العناية بالمقاصد الإنشائية التي يهتمّ لها الأديب وشادي الأدب، خصوصاً في ظلّ الاشتجار المذهبيّ الذي نشب في ذلك الوقت، واقتضى إعداد خطباء وبلغاء ينافحون عن آرائهم ومذاهبهم، وليس أولى من الأدباء في تبيان ذلك وبيانه، على ما فعلّ الجاحظ في موسوعته (البيان والتبيّن)، ولعلّ هذا ما يُفسّر انفراد الأدباء الذين مارسوا الأدب وبرعوا فيه بهذه المهمّة، فكانت البلاغة بذلك هي شريعة الأدب، والأدباء هم مشرّعوها.

وما نثره الجاحظ من مرويات وآراء عن البيان وأصحابه، وطُرق تبيينه، وأجناسه، ومميزاته، وما يعترض على فهمه وإفهامه، وعلى إيصاله وتأثيره، وعن كلّ ما يحمله من مخزون معرفي وثقافي وتاريخي واجتماعي، جعله بحقٍّ منجم البلاغة بمفهومها العام.

وإذا كنّا بصدد الحديث عن المقصد الإنشائي للبلاغة الذي هو دافع الدوافع وأصل الأصول للبلاغة، قبل أن تتعدد مساراتها، وتتجاذبها العلوم والصناعات، فلن نستطيع تجاوز الجاحظ لثرائه وعظم تأسيسه من هذه الناحية، خصوصاً في (البيان والتبيّن)، فقد ساق كلّ ما له عُلقةٌ بإنشاء البيان، وعُني "بشيءٍ من دراسة مصدر الأدب، وهو الأديب أو المبين، دراسةً تتناول هيئته ومنطقه، وما يُساعده على النَّجاح في موقفه"[20].

أما إذا كنا نتلمس أوّل وثيقة في البلاغة الإنشائية فهي صحيفة بشر بن المعتمر (210هـ) التي رواها الجاحظ[21]، يقول: "مَرَّ بشرُ بن المعتمر بإبراهيم بن جَبلة بن مخرمة السُّكوني الخطيب، وهو يُعلّم فتيانهم الخَطابة، فوقفَ بشرٌ فظنَّ إبراهيمُ أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلاً من النَّظّارة، فقال بشر: اضربُوا عما قال صَفحاً واطُووا عنه كَشحاً، ثم دفع إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه"، ثم سَرَد الصحيفة، وفيها مبادئ اعتمدت عليها البلاغة العلمية فيما بعد.

ثم إننا إذا نظرنا إلى كتاب (الصِّناعتين) من جهة مقصده من كتابه، وعنوانه، وعناوين أبوابه وفصوله، فنجده ينحاز إلى المنهج الأدبي والمقصد الإنشائي، الذي كان يمثّله الجاحظ في كتابه (البيان والتبيّن)، وهذا نصّ أبي هلال في دافعه لتأليف لكتابه، فقد ذكر أن كتاب (البيان والتبين) "كثير الفوائد، جمّ المنافع، لما اشتملَ عليه من الفصول الشريفة، والفِقَر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة.... إلا أنَّ الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالّة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفّح الكثير، فرأيتُ أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحتاج إليه في صَنعة الكلام: نثره ونظمه، ويُستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير ولا إخلال، ولا إسهاب وإهذار"[22].

فالكلام واضحٌ في أن كتابه صُنع للمنشئ لا للناقد أو الناظر، أراد أن يصنع بلاغةً تعين المنشئ على صنعة الكلام نثره ونظمه، ولأجل الحاجة التأليفية في تقريب مسائل هذه البلاغة كان لا بد أن توجّه "البلاغة توجيهاً علمياً قاعدياً يقوم على الحدّ والتعريف والتفريع وحصر المسائل واستيفاء الأقسام"[23].

وهذا ما يغري بتصنيف أبي هلال (395هـ) ضمن أرباب البلاغة العلمية، ولكنّ عند إنعام النظر نجد أنه بنى كتابه على المقصد الإنشائي أكثر من أيّ مقصد آخر، مع أنه قد أخرّه في تعداده لمقاصد البلاغة في أول كتابه كما سبق بيانه.

ولا نستطيع أن نخلي مواهب المشاركين في صناعة البلاغة من التأثير على ما كتبوا، فمنذ أبي هلال العسكري وهو كاتب ممارس، وشاعر مَطبوع، ألّف في البلاغة من ألّف، وكان غالبهم أقربُ لوصف العلماء منه للأدباء، كعبد القاهر الجرجاني (471هـ)، وابن سنان الخفاجي (466هـ)، والزمخشري (538هـ)، والرّازي (606هـ)، سوى ابن رشيق القيرواني (456هـ) الذي اشتُهر بالشّعر فصاغه كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، وابن الأثير (637هـ) الذي اشتهر بالكتابة الأدبية فصاغ كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

أما ابن رشيق (456هـ) فأظهر في كتابه ثقافته الشعرية ولم تظهر بوضوح آثار تجربته الشعرية، وكان هدفه الأساسي بكتابه هو جمع أحسن ما قاله الشعراء، ليكون عمدةً للأديب[24]، وهذا اتجاهٌ أدبيٌّ يشبه اتجاه المختارات الشعراء والدواوين الأدبية، ولو اكتفى به لما عُدّ كتابه إلا هنالك حيث الرّواية والشّعر والأدب، لكنّه وضع هذه المختارات تحت عناوين تاريخية ونقدية وبلاغية، بعد أن قرن كلّ شكل بشكله، وردّ كلّ فرع إلى أصله، ثم لم يكتفِ بهذا حتى نثر تحت هذه العناوين كثيرٌ من الآراء النقدية، حيث قال: "وبيّنتُ للنَّاشِئ المبتدئ وجه الصَّواب فيه، وكشفت عنه لَبْسَ الارتياب به، حتى أعرّف باطله من حقّه، وأميّز كذِبه من صِدقه"[25]، ولكنّ هذا المقصد كان تابعاً – فيما يبدو – من تأخيره في عُنوان الكتاب، وترتيبه في حديثه عن مقاصده، ولذلك لم يكن المقصد الإنشائي مستحضراً لدى ابن رشيق، وإن كان ما جمعه في كتابه من أكبر ما يُعين على الإنشاء الشِّعري.

أمّا ابنُ الأثير (637هـ) فهيمنت عليه صنعته الكتابية، وصدر عن تجربته في كل ما ألّف من مؤلفات، وشخصيته التي تنطوي على إظهار التفرّد في الصّناعة من وراء ذلك، بحيث كان يدفعه إلى حشد كثير من رسائله ومقطوعاته النثرية، على اعتبار أنه في الكتابة الأدبية أبا عذرتها، وأستاذها الذي من حقّه توجيه صُنّاع الكلام إلى مسالك الجودة والإحسان؛ ولذلك كانت كلّ عناوينها دالةً على اهتمامه بالمقصد الإنشائيّ وتقديمه له، فمن مؤلفاته (الوشي المرقوم في حلّ المنظوم)، وهو من اسمه ينتمي لصناعة الإنشاء، ومن مؤلفاته (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)، وهو – أيضاً – فيما يبدو سِجّل حافلٌ بالأمثلة والشواهد موجّهة لصنّاع الكلام، ومن مؤلفاته (ديوان ترسّل) و(المختار من ديوان الترسل)، كذلك (الجامع الكبير في صِناعة المنظوم والمنثور)، يقول في مفتتحه: "أما بعد، فلما كان تأليف الكلام مما لا يوقف على غوره، ولا يُعرف كُنه أمره، إلا بالاطّلاع على علم البيان، الذي هو لهذه الصّناعة بمنزلة الميزان"[26].

فهو موجّه لصنّاع الكلام، وابن الأثير لا يفتأ يذكرنا بعمله واجتهاده ومقصده من تأليفه، فقد شرع في تطلّب هذا العلم، والبحث في كتبه وتصانيفه، فلم يترك في تحصيله سبيلاً إلا نهجه، ولا غادر في إدراكه باباً إلا ولجه، حتى اتضح عنده باديه وخافيه، وانكشف له أقوال الأئمة فيه، ثم لما مضى على ذلك ملاوةٌ من الدّهر، لمحَ في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريفة، غفلَ عنها أولئك الأئمة، ولم ينبّهوا على شيء منها، وكان ذلك باعثاً له على تصفح آيات القرآن، فاستخرج منه ثلاثين ضرباً، لم يسبق إليها، هي أصل الفنّ وعمدته، وخلاصة هذا العلم وزبدته، بحسب عبارة ابن الأثير، قال: "أحببتُ أن أفرد لها كتاباً، وأفصّل فيه أقساماً وأبواباً، ليكون مقصوراً على شَوارد هذا العلم وغرائبه، ورموزه الخفية وعجائبه، وليجعله مؤلّف الكلام رأس بضاعته، ويعلم به مواقع الصواب في صناعته"[27].

ويدخل في هذا السّلك كتابه المعروف "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وهو أقربها لصَّنعة البلاغة وفنونها، وقد صنَّفه الفاضل ابن عاشور مع كتاب "البيان والتبيّن" للجاحظ من كتب الإنشاء[28]، وهو كذلك، وهو أحقُّ من كتاب "الصّناعتين" بهذا الوصف لما سنطرحه من دلائل وإشارات، ومن اسمه يتكشّف لنا أولى الدلائل، فالكتاب صيغ من أجل أن يكون مثلاً سائراً ونموذجاً خالداً للكاتب والشاعر، يستهديان بهديه، ويترسمان طريقته، ويحتذيان شواهده، وصوّب ابن الأثير خطابه لهما بأوصاف شتى، فمرةً يجمعهما في وصف "صاحب الصّناعة" فيقول: "فلا ينبغي لصاحب هذه الصّناعة من النظم والنثر أن يهمل من علم العربية ما يخفى عليه بإهماله اللحن الخفي.."[29]، ومرةً ينعته بالمتوشح لهذه الصّناعة، كما في قوله: ".. لتكون مثالاً للمتوشّح لهذه الصناعة"[30]، ومرةً يسميه المتعلم، والمقصود به المتعلّم لصناعة الإنشاء كما تدلّ عليه عبارته: "وحيث عرفتك أيها المتعلّم ما تقتدي به في هذا الموضع، فقد ذكرت لك أمثلة كثيرة تتدرب عليها"[31].

ولا يكفي أن نعتمدَ على تأثير السّابق في اللّاحق لنَسلكه معه في مقصده، فابنُ الأثير استفاد فائدة كبرى من ابن سنان الخفاجيّ، وأخذ منه وردّ عليه، بعد أن ذكر في مقدّمته أنه مما ينتفع به هو وكتاب "الموزانة" للآمدي[32]، لكنّ نرى أن وجهة ابن سنان غير وجهة الأثير، فهو معنيٌّ بتحقيق القول في حقيقة الفصاحة، فهو إلى البلاغة العلميّة أقرب.

ولنأخذ مسألةً مما نازع فيها ابنُ الأثير (637هـ) ابنَ سنان الخفاجي (466هـ)، وكان اختلافُ المقصد مؤثّراً في اضْطراب موقف ابن الأثير، وذلك في اعتبار تباعد مخارج الحروف علةً لفصاحتها، وقرب مخارجها سبباً في عدم فصاحتها، حيث قرّر ابن سنان ذلك في جملة من الأسباب، وتعقّبه ابن الأثير نافياً أن يكون بُعد المخرج أو قربه علة في الحسن أو القبح، "فحسن الألفاظ إذن ليس معلوماً من تباعد المخارج، وإنما عُلم قبل العلم بتباعدها، وكل ذلك راجعٌ إلى حاسة السمع، فإذا استحسنت لفظاً أو استقبحته وُجد ما تستحسنه متباعد المخارج، وما تستقبحه متقارب المخارج، واستحسانها واستقباحها إنما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده"[33].

فابن الأثير ينظر للقضية من جهة منشئ الكلام لا من جهة ناقده أو دارس الكلام، كما كان ينظر ابن سنان، وهو بهذا يشير إلى أسبقية عملية الاستحسان أو الاستقباح على عملية اكتشاف علة ذلك الاستحسان أو ذلك الاستقباح، ومن أجل هذا يستبعد على الشاعر أو الناثر مراعاة هذا الأصل في أثناء عملية الإبداع، فيقول:"على أنه لو أراد الناظم أو الناظر(*) أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الألفاظ، وهل هي متباعدة أو متقاربة؟ لطال الخطب في ذلك وعسر، ولما كان الشاعر ينظم قصيدة، ولا الكاتب ينشئ كتاباً إلا في مدة طويلة تمضي عليها أيام وليال ذوات عدد كثير، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك"[34].

وقد جاء حازم القرطاجني (684هـ) بعد أن اختطّ للبلاغة اتجاهان بدآ يمتازان بجلاء في القرن الخامس: اتجاه يركّز على النظر والعلميّة، وبدأ يهيمن على الدرس البلاغي، واتجاه يركّز على الإنشاء والأدبية، وقد تعرّضنا لشيء من جذوره فيما سبق، وامتدّ إلى ابن الأثير وكُتب الأدب فيما بعد ذلك، كصبح الأعشى للقلقشندي، وفيما يبدو لنا من ظاهر كلام حازم القرطاجني أنه لم يطلع على الاتجاه الأوّل، لأنّا لا نجد شيئاً من آثاره عليه، مع قربه مع ما تناوله من قضايا واستخلصه من مقررات.

وعنوانه يشير لنا من أوّل الطريق إلى أن بحثه إنما يمثّل الاتجاه الثاني القائم على المقصد الإنشائي والمنهج الأدبي؛ إذ جعله منهاجاً للبلغاء وسراجاً للأدباء، ومضمونه يؤكد بناءه على المقصد الإنشائي، لكن كلمة "منهاج" تعدّ إضافة جديدة تعكس الطريقة التي اختارها حازم في الوصول إلى تحقيق مقصده الإنشائي، وهذا ما يميّز حازماً عن سابقيه، في التزامه بمنهاجية مقننة، ومدخل واضح، ولذا لم يبرح المرحلة الإنشائية في عمل البلاغة، وهي منطقة خاصّةٌ بالإنسان المنشئ، وهذا مدخلٌ للبلاغة يختلف تماماً عن مدخل أصحاب الاتجاه الأول، فهو يوجّه "كثيراً من كلامه إلى صنّاع البيان والمنتجين له من كتاب وشعراء، وهذا يخالف كتابات عبد القاهر والبلاغيين، وأكثرها موجّه إلى من يدرسون الشِّعر والأدب"[35].

وصحيحٌ أننا نفتقد الدلالة الصريحة التي ربما صرّح بها حازم بمقصده في مقدمته المفقودة، لكن هناك إشارات كاشفة تُنبئ عن هذا المقصد، فضلاً عن الطابع العام الذي يرشّح لمعرفة ذلك من طبيعة مباحثه، وطريقة عرضه، وبناء عباراته.

يقول حازم: "وقد سلكتُ من التكلّم في جميع ذلك مَسلكاً لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة، لصعوبة مرامه وتوعّر سبيل التوصل إليه، هذا على أنّه روح الصنعة وعمدة البلاغة"[36].

أيّ شيء هو روح الصنعة وعمدة البلاغة غير طريقة إنشائها، والبداعة في إيجادها، وقد جاءت هذه الكلمة في سياق حديثه عن الطرق الصحيحة في اعتبار ما تكون عليه أحوال المعاني الذهنية، وما هي أمثلة له بالنظر إلى ما يستحسن وما لا يستحسن، وما قبل هذه التنويرة من معرّفات وتنويرات ومعالم وما بعدها متعلقٌ بطرق اقتناص المعاني ومعرفة أنحائها وأساليب ترتيبها، وحازم في كلّ ذلك "يبدأ بما في النفس لينتهي إلى الكلام، ولعلّ هذا هو معنى أنه عُني بالأصول، وما وراء الظاهر"[37]، "وكلُّ ما في كتاب حازم مصوّب من أَلِفه إلى يائه نحو هذه القبلة التي هي الإنسان"[38].

والخلاصة التي نختم بها أنه لا تخلو بلاغة من البلاغة الإنشائية؛ لأنّ ذلك هو روحها وأساس وجودها، مهما انحازت إلى العلميّة والنظريّة والنقديّة، وفي البلاغة العلميّة التي أسس قواعدها عبد القاهر الجرجاني، وتوسَّع مسارها حتى هيمنت على الدرس البلاغي، نجد كثيراً من ظلال البلاغة الإنشائية في أثناء تقنين القواعد ومعالجة المسائل وتحليل الشواهد، ولا أدلّ على ذلك من أن البلاغة العلميّة عرّفت البلاغة باعتبار الإنشاء، وأشغلها ذلك عن تعريفها باعتبار العلم، فكان أعظم قاعدة من قواعدها قولها: البلاغةُ مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

الثاني: المقصد النَّقديّ (البلاغة النقدية):

النقد عملية من حيث الوجود تلي عملية الإنشاء، ومما لم يجرِ به العُرف النقدي تسمية عمليات التنقيح والتهذيب التي يمارسها منشئ الكلام نقداً، وإن سبقتْ عملية إبداعه؛ فلذا كان من الطبيعي أن يوجد النقد تالياً للبلاغة الإنشائية وموجّه لها، وأن يبتدئ من الملاحظة وينتهي عند الموازنة، وأن يمارس وظائف التقويم والتعليل والتوجيه، وأن يكون خطابه موجّهاً للناقد والمتذوّق، وأن تتركّز أحكامه على الأوصاف النقدية للكلام واللفظ والمعنى.

ونحبّ أن نوضّح العلاقة بين النقد والبلاغة تاريخيّاً وموضوعيّاً، كي يتسنى لنا استكشاف البلاغة النقدية في دائرة النقد الكبرى، وتتبع مسارها، واستنباط معالمها، فالنقد نشأ قبل البلاغة بتلك النظرات الموجزة التي قامت حول الكلام البليغ تقويماً وتوجيهاً، من قبل الشّعراء أنفسهم، في تعقيبهم على الأبيات والمعاني والاستعمالات، كمثل ملاحظة طَرَفة بن العبد على المتلّمس في بيته:

وقَدْ أَتَناسَى الهَمَّ عندَ احتِضَارِهِ * بِناجٍ عليهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكدَمِ

قال طَرَفة: استنوق الجمل، وذلك لأنّ الصيعرية من سِمات النّوق دون الفحول.

هذه النظرات التي فضّلنا تسميتها بالشّذرات تعدّ من جملة الأسس التي شيد عليها البناء البلاغي، فقد تحولت تلك النظرات الموجزة – فيما بعد – إلى فنون بلاغية، ومؤدى هذا النتيجة المشهورة أنّ البلاغة نشأت في أحضان النقد، وأُسقيت بمائه.

ومع مرور الأيام اتسعت دائرة النقد واتسعت دائرة البلاغة داخلها، بحيث صارت أكبر دوائرها، وصَعُب على القارئ التمييز بين النقد والبلاغة في ظل هذا الاشتجار المثمر، خاصة مع صيرورة مباحث البلاغة الدرس الموضوعي للنقد في تحليله للنصوص الأدبية، فتقف مثلاً أمام كتاب اسمه (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (337هـ)، فلا تجده إلا كتاباً في فنون البلاغة، مع تضمنّه لكثير من الآراء النقدية، وانحيازه للجانب النقدي في اتّجاهه ومقصده، كما سيتضح قريباً.

وهذا التفاعل البنيوي بين النقد والبلاغة كان من ورائه المقصد النقدي في

(*) الأرجح أنه وقع تصحيف في العبارة، وأنَّه الناثر وليس الناظر؛ لأنه عطف على الناظم، ولأنه ربط ذلك بالاستعمال، وهو عمل الناظم والناثر.

نشأت البلاغة وتكوينها، بحيث صحّ أن نتجاوز العطف بينهما إلى إضافة أحدهما إلى الآخر، إضافةً نستحضر معها هذا المكون الأساسي في بناء البلاغة، وأن تخصص هذه البلاغة النقدية .كما هو واقعها . بكلام البشر دون كلام الله وكلام رسوله – صلَّى اللهُ عليه وسلّم –.

وهذا التصوّر هو أدقّ ما يصوّر الواقع البحثي، عن امتزاج المسائل البلاغية بالقضايا النقدية في المصادر الأدبية، فلم يكن هناك تمييز بين النقد والبلاغة في الوعي التراثي، حتى نستنتج أن هناك ظاهرة، وهي ظاهرة اختلاط النقد والبلاغة، ثم نحاول تعليلها، والتماس المخارج التفسيرية لذلك الاختلاط الذي حمله إلينا الاعتقاد الخاطئ بأن النقد والبلاغة مجالان منفصلان[39] كما عند الدكتور بدوي طبانة حيث نفي العَجَب من ظاهرة اختلاط النقد بالبلاغة؛ وذلك لاتفاق بحثهما في الأدب، ثم إنه عاد واقترب مما نريد تقريره هاهنا.

إن البلاغة في أولى خطوتها كانت تسيرها بوظيفتين أساسيتين، وظيفة القدرة على إنشاء الكلام وإحسان صياغته، وهذه هي البلاغة الإنشائية، ووظيفة البصر بوسائل تقديره والحكم عليه، وهذه هي البلاغة النقدية.

وكان جزءاً كبيراً مما ساقه الجاحظ من مرويات وآراء يعبّر عن هذه البلاغة النقديّة، ويعبّر عن مقصده الثاني من كتابه، وكلمتِه الثانية من عنوانه، فـ"التبيّن" الذي عطفه الجاحظ على "البيان" هو عمل الناقد بلا ريب[40].

ومما يلاحظ في هذا السّياق أن كلّ من قدّم المقصد الإنشائي في بحث البلاغة، كان مقصده التالي المساند له هو المقصد النقدي، كأبي هلال العسكري (395هـ)، وابن الأثير (637هـ)، وحازم القرطاجني (684هـ)، باعتبار أن عملية صنع الجيد لا تكون إلا بمعرفة الجيد، ولذلك تجد ابن الأثير يعقد فصلاً في الحكم على المعاني[41]، ويقدّم آراء نقدية جديرة بالعناية، وكذلك ما صنع حازم، وربما على نطاق أوسع من ابن الأثير.

وأعظم ما عند الجاحظ من البلاغة النقدية هو قدرته على توليد الأوصاف النقدية واستعمالها في تقويم البيان ونقده، فلقد كانت بعض تلك الأوصاف كالنظم والتصوير والصّياغة هي الأسس التي قام عليها مفهوم البلاغة وفنونها، واعتمدت عليها البلاغة العلمية في تقرير مبادئها، وصناعة مصطلحاتها.

ولا يختصّ ذلك بالجاحظ، وإنما هو عنوان تلك المرحلة، حيث تحولت الشّذرات النقدية إلى مواقف نقدية اتسعت عباراته بالرأي والوصف والتعليل، فسِيقت أوصاف كثيرة تنعت مظاهر الكلام، سواء كانت أوصافاً تفسيرية محايدة كالنظم والصياغة والتصوير والنسج والبديع، أو كانت أوصافاً تقويمية تخصّ الجودة والرداءة، يدخل في هذا ما ساقه ابن قتيبة (276هـ) في كتابه (الشعر والشعراء)، وما ساقه المبرّد (285هـ) في كتابه (البلاغة)، وكتابه (الكامل في اللغة والأدب)، وما ساقه ثعلب (291هـ) في كتابه (قواعد الشعر)، وابن المعتزّ (296هـ) في كتابه (البديع)، وكذلك عند ابن طباطبا العلوي (322هـ) في (عيار الشعر)، والآمدي (370هـ) في (الموازنة بين الطائيين)، والقاضي الجرجاني (392هـ) في (الوساطة بين المتنبي وخصومه).

وإذا كنا نبحث عن أكثر القضايا النقدية جدلاً وتأثيراً على مجريات البحث في البلاغة النقدية في ذلك العصر، فستكون هي قضية اللّفظ والمعنى، وموقف الناقد يختلف تماماً عن موقف المنشئ، فالناقد يتصوّر الفصل بينهما لتنظيم عمل التذوق التي لا تتهيأ له بدون هذا الفصل الإجرائي، وهذا ما حدث بصورة فاقعة لدى من نَقّد البلاغة، وبَلّغ النقد، إذا صحت العبارة، وهو قدامة بن جعفر في (نقد الشعر) فقد ترجَّح فيه المقصد النقدي على المقاصد الأخرى، وذلك بعدما لامس ابن المعتز هذا المقصد النقدي في كتابه (البديع) في إطار غرضه المحدد حول أسبقية القدماء للبديع، وقد كانت هي الخطوة الممهدة لخطوة قدامة الواسعة.

غير أننا لا نستطيع إدراج خطوة ابن المعتز ضمن البلاغة النقدية؛ لأن الدائرة التي تحرّك فيها كانت تشمل القرآن والبيان النبويّ، وهي أقرب إلى عدِّها الإرهاصة الأولى للبلاغة العلمية إذا دققّنا النظر في عنوانه، وبناء كتابه، فكلمة "البديع" كانت تعادل "البلاغة" في زمانه، وفنون البديع حينذاك هي فنون البلاغة، وبناء كتابه قام على التحدّد والاصطلاح، ناقش فيه خمسة أنواع حَصَر فيها البديع، وهي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وألحق بها ثلاثة عشر فناً سماها "محاسن الكلام"، وهي: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح، وتجاهل العارف، والهزل يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم ما لا يلزم، وحسن الابتداء[42].

ومن الحسنات التي تحسبُ لابن المعتز (296هـ)، وهي تعكس استحضار المقصد النقدي، أنه لم يستحسن تلك الفنون ويرضاها على عللها، بل إنه قد أبان رأيه فيها، وعاب من استعمالات الأدباء إياها ما رآه معيباً، وما رآه ظاهر التكلّف، فكتابه كتاب توضيح الفنون، وفي نفس الوقت كتاب تقدير لاستعمال تلك الفنون[43].

وإنما كان كتاب قدامة (334هـ) (نقد الشعر) أدخل في المقصد النقدي من كتاب ابن المعتز (296هـ)؛ لأنه أدار كلّ مباحثه على الغرض الأساسي من النقد، وهو تمييز جيّد الشعر من رديئه، والتي رأى قدامة أنه لم يُعن علماء الشعر بها، ولم يوضع فيها كتاباً مستقلاً، وأن من قبله عُنوا بوضع الكتب في علم عروض الشعر وأوزانه، وعلم قوافيه ومقاطعه، وعلم غريبه ولغته، وعلم معانيه والمقصد به، قال: "ولم أجد أحداً وضعَ في نقد الشِّعر وتخليصِ جيّده من رديئه كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشِّعر من سائر الأقسام المعدودة"[44].

وجرى قدامة في عمله على أن الشعر صناعة كسائر الصّناعات، لها طرف أعلى، وهو غاية الجودة، وطرف أدنى وهو غاية الرداءة، وبينهما حدود تسمى الوسائط، وأن الوصول إلى تحديد درجة الشعر من هذا السلّم هو "الصفات التي إذا اجتمعت في الشعر كان في غاية الجودة، وهو الغرض الذي تنتحيه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصّناعات، والغاية الأخرى المضادّة لهذه الغاية، التي هي نهاية الرداءة"[45].

وهذه الصفات التي سمّاها قدامة – فيما بعد – بالنعوت هي في أكثرها

فنون بلاغية، اجتهد لها فقدّم لها حدوداً وتعاريف وتقاسيم، فكانت خطوته في تقنين النقد هي من وجه آخر تقنين للبلاغة، وقبل ذا وهذا هي تأسيس للبلاغة النقدية التي تتذرع بالفنون البلاغية مدخلاً صالحاً لتمييز جيّد الشعر من رديئه، ولأجل هذا نجد أثر قدامة في المسار البلاغي لا يعدله أيّ أثر من جملة النّقاد، حتى الذين جاؤوا من بعده، كالآمدي والقاضي الجرجاني، والسبب هو أنه "كان حريصاً على أن يُعلّم النقد، مثلما كان حريصاً على أن يكون علمه قائماً على منطق لا يختلّ"[46].

ويشبه قدامة في هذا المنحى ابن رشيق القيرواني (456هـ) في كتابه (العمدة)، غير أن آراءه النقدية حوصرت بزخم كبير من المباحث الأدبية والتاريخية واللغوية، والتي يستعان بها على فهم الشّعر، والتبصّر بثقافته، وهذا موافق لتأخيره النقد في عنونته (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده).

وقد نشطت البلاغة النقدية في القرنين الرابع والخامس بفضل عاملين:

الأول: المعارك النقدية التي دارت حول مذهب القدماء والمحدثين، أو حول بعض الشعراء، كما مثلته كتب (الموازنة) و(الوساطة) وغيرهما، الأمر الذي أنتج لنا معايير نقدية، كانت تستند في كثير منها إلى المبادئ البلاغية، وإلى ما أنتجته البلاغة الإنشائية من أصول وأنظار.

الثاني: قضية الإعجاز البلاغي، والتي دعا باحثوها إلى تعيين زوايا للفحص والتقويم في تحديد طبقات الكلام وصولاً إلى الطبقة العليا التي تنقطع عندها الأطماع، ويمثّل هذا الاتجاه الباقلاني في (إعجاز القرآن)، وعبد القاهر في تقدمته بـ(أسرار البلاغة) لـ(دلائل الإعجاز)، وما تضمنّه الأخير من رؤى نقدية ناضجة، على مستوى التنظير والمعالجة.

وما تتميز به المصادر التي دارت حول هذين العاملين هو أنها أدارت معالجة البلاغة النقدية على القراءة والتحليل للشواهد البليغة، فكان فيها أدقّ اختبار لصّحة المقاييس البلاغية، وجدارتها في مواجهة النصّ الأدبي.

الثالث: المقصد التّفسيريّ (البلاغة التفسيرية):

نستطيع القول بأن البلاغة التفسيرية مقدّمة للبلاغة النقدية، فلا ينقد النصّ حتى يُفهم، ولا يُفهم حتى يفسَّر، فإذا كان الموقف النقدي ينشأ من التذوق وما يستصحبه من الحكم والتعليل، فإن الموقف التفسيري ينشأ من محاولة الفهم والتفسير، والاستعانة بأصول في النظر والاستدلال، والاعتماد على أدوات بلاغية في التفسير والبيان، وقد سَبَق إلى هذا الباب طائفتان كان عملهم يدور حول هذه الوظيفة: المفسرون واللُّغويون، ولا يمكن أن نفصل بينهما؛ فالمفسرون في ذلك الوقت كانوا لغويين، واللُّغويون كانوا مفسرين.

والمجال الذي وُجد فيه هذا المقصد التفسيري هو تفسيرُ القرآن في تأصيل أساليبها وتأويلها وتوجيهها توجيهاً يتفق مع استعمالات العرب، وكلامُ العرب في تأسيس قواعده المطرّدة، والكشف عن سننهم في الإبانة وأساليب العدول عندهم، فمن الأول كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (209هـ)، وكتب (معاني القرآن) لكلٍّ من الفرّاء (207هـ)، والأخفش (215هـ)، والزّجاج (310هـ)، وكتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (276هـ)، ومن الثاني (الكتاب) لسيبويه (180هـ)، و(الكامل في اللّغة والأدب) للمبرّد (285هـ)، ويمكن أن نعدّ أمالي الشريف المرتضى (436هـ) (غرر الفوائد ودرر القلائد) كتاباً جامع بين المجالين، تفسير القرآن وتفسير كلام العرب، كما يمكن إدراج الشُّروح الشعرية في المقصد التفسيري بوجهها القريب؛ لأنها لا تزيد غالباً على تفسير المعنى، وإن كانت لا تخلو من ومضات نقدية عالية القيمة.

غير أن حضور الأدوات البلاغية في تفسير هذه المصادر كان يتفاوت من مصدر لآخر، فحضوره الواسع في (تأويل مشكل القرآن) عند ابن قتيبة لا يُقارن بحضوره الضيّق في (معاني القرآن) عند الأخفش، وحضورها التأسيسي في (الكتاب) لسيبويه ليس كحضورها التقريري في أمالي الشريف المرتضى، ولن يصحّ – إذن – أن نعتمد كل هذه المصادر ممثلةً البلاغةَ التفسيرية حقّ التمثيل، وهي من أجل هذا السّبب ليست على درجة واحدة في تنمية الدرس البلاغي.

وعناوين بعض هذه المصادر دالٌّ على أصل عملها، وهيمنة المقصد التفسيري فيها، فكتب (معاني القرآن) تتمحور حول البيان اللُّغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن، وذلك ببيان غريب الألفاظ، أو تقدير المحذوف والمضمر، أو تخريج مشكل الخطاب القرآني على الأسلوب العربي، أو تحليل تركيب الجملة لبيان المعنى، وغير ذلك مما يحقق مقصدهم التفسيري[47].

وكتاب (مجاز القرآن) يدور أيضاً حول تحقيق هذا المقصد، ومعنى كلمة "المجاز" عنده هو: عبارة عن الطُّرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعمّ من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة "المجاز" فيما بعد[48].

وكتاب (تأويل مشكل القرآن) من عنوانه وغرضه دالٌّ على أنه معنيٌّ بتفسير وبيان ما غَمُض من تعبيرات القرآن واستعمالاته، والتي كانت محلّ طعن الطاعنين، واعتراض المعترضين، قال: "فأحببتُ أن أنضحَ عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البيّنة، وأكشف للناس ما يَلبسون"[49].

وإذا كان مردُّ التفسير إلى الكشف عن المعنى المراد، ودلالات التراكيب، وتوجيه الأسلوب، فإن الاستدلال حينئذٍ يعتمد على استحضار النظير، والاستدلال بالواقع اللّغوي من كلام العرب، سواء في ذلك تفسير القرآن أو تفسير كلام العرب، وقد اجتمعت كلمتهم على هذا الأساس، بل تكرّر عندهم بما تأكّد من أنه المبدأ الأساسيّ في التفسير اللُّغوي والبلاغة التفسيرية، والذي هو محلّ افتراق بين المقصد التفسيري والمقصد الإعجازي، كما سيأتي بيانه.

ونستحضر ثلاث مقولات أساسيّة تعبّر عن هذا المبدأ التفسيري:

– **المقولة الأولى**: قول سيبويه: ".. ولكنّ العباد إنما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لُغتهم وعلى ما يَعنون"[50].

– **المقولة الثانية**: قول أبي عبيدة: "ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختُصر، ومجاز ما حُذف، ومجاز ما كُفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع

الواحد إذا أُشرك بينه وبين آخر مفرد..."[51].

– المقولة الثالثة: قول ابن قتيبة: "القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللّقِن، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خَفِي"[52].

وما تُعدّده هذه المقولات من وجوهٍ وأساليبَ ومذاهبَ إنما هي وجوه وأساليب ومذاهب لا تنكشف إلا بالفكر اللُّغوي على وجه العموم، وبالتفسير البلاغي على وجه الخصوص، وهي مباحث العدول البلاغية، قد عُبّر عنها في ذلك الوقت بـ "المجاز" كما عند أبي عبيدة، وكما أوضحه ابن قتيبة في هذا النصّ: "وللعرب "المجازات" في الكلام، ومعناها: طُرُق القول ومآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى، مع أشياء كثيرة ستراها في "أبواب المجاز" إن شاء الله تعالى"[53].

فأصلُ الاهتمام بالمجاز لدى أصحاب المقصد التفسيري كان اهتماماً بتوضيح المعنى وتحديد الدلالة؛ ولذا توقّف عند إعادة الأسلوب إلى أصله، فإن كان حذفاً أظهر المقدّر، وإن كان تقديماً أوْخر المقدّم، والاستشهادِ على ذلك بنظائره من كلام العرب، وقد يزاد على ذلك بإظهار العلة البلاغية، من ذلك مثلاً قولُ الفرّاء: "إنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع، ويدلّ أوّله على آخره"[54]، وقولُ أبي عبيدة: "العربُ تختصر الكلام ليخففوه؛ لعلم السامع بتمامه"[55].

إن ما تلتزم به البلاغة التفسيرية هو الوقوف عند تأصيل الأسلوب وإيضاح المعنى وتحديد الدلالة، وما سوى ذلك من المزايا البلاغية التي تنتجه أساليب المجاز والعدول، ويتفاضل به الكلام وتتفاوت طبقاته، ليس من وظيفتها أساساً، وقد ساعد ذلك على تأصيل كثير من المبادئ البلاغية، وعلى ابتكار مصطلحات كثيرة للظواهر البيانية التي عُنيت بتفسيرها؛ إذ ذلك ما تقتضيه طبيعة التفسير من حاجةٍ لاستقصاء الأساليب التي تحتاج إلى إيضاح وبيان، والتي هي من وجه آخر موطن تساؤل واستشكال، وربما كانت محلّ اعتراض واختلاف، والناظر في كتاب (تأويل مشكل القرآن) يجده يدور حول هذا، وكلّ مظاهر التفسير البلاغي يمكن أن ينظر إليه في ضوء هذا الكتاب المؤسِّس.

وأول ما يلفت في عنوان ابن قتيبة هو كلمة "تأويل"، وهي كلمة كانت بمعنى التفسير عند السَّلف[56]، ولكنها بدلالتها اللغوية وفي بعض سياقاتها تعبّر عن معنى أخصّ من التفسير، كما أوضح ذلك – فيما بعد – ابن الأثير، حين قرر أن التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازاً؛ لأنه من الفَسْر، وهو الكشف، وأن التأويل أحد قسمي التفسير، وهو رجوع عن ظاهر اللفظ، فهو مشتقٌ من الأول، وهو الرجوع، وعلى هذا فكلّ تأويل تفسير وليس كلّ تفسير تأويلاً[57]، وكأنه يخصّ التأويل بإيضاح المعنى الأكثر خفاءً ولطفاً، فاختيار ابن قتيبة كان دقيقاً، ويكفي إضافته للمُشكل في معرفة مراده.

وقد صرّح ابن قتيبة بمقصده التفسيري في قوله: "فألفتُ هذا الكتاب، جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً من التفسير في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب؛ لأري به المعاند موضعَ المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل"[58].

والواقع أنَّ عمل ابن قتيبة يصدِّق فعله، فقد صاغ كتابه بمنهجية مرّتبة، وفكر منظّم، وعناوين جديدة، جمع فيها النظائر والأشباه، حيث ساق باباً في المجاز، وباباً في الاستعارة، وباباً في المقلوب، وباب في الحذف والاختصار، وباباً في تكرار الكلام والزيادة فيه، وباباً في الكناية والتعريض، وباباً في مخالفة ظاهر اللفظ معناه، وهذه مصطلحات بلاغية تشير إلى أن ابن قتيبة كان يتحرك في مجال بلاغي وبأدوات بلاغية، بخلاف أصحاب (معاني القرآن)، فإنّ البلاغة حضرت عندهم في أثناء تفاسيرهم اللّغوية.

وقد يُتساءل في هذا السِّياق عن الفرق بين التفسير اللُّغوي والتفسير البلاغي، والواقع أن البلاغة باعتبارها أداةً في النظر ومجالاً في البحث تُعدّ جزءاً من التفسير اللّغوي لا تنفصل عنه، ولأجل هذا ليس بالضرورة أن ندرج كلّ من تناول التفسير اللغوي في عداد البلاغيين، حتى يكون كابن قتيبة قد نظر وتأمّل وبوّب واصطلح وفسّر وأوّل وعلّق وفق منطلقات بلاغية، روعي فيها التأويل والسّياق.

ولذا فإن أكثر شواهد ابن قتيبة يمكن أن تُوزَّع على الأبواب البلاغية المشهورة التي نشأت – فيما بعد – في البلاغة العلمية، بل إنها تزيد عليه بمباحث ضاقت عنها البلاغة العلمية بالرغم من أهميتها وكثرتها في الكلام البليغ، كشواهد باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة، وباب تفسير حروف المعاني، وباب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض.

وبإزاء ابن قتيبة في تفسير القرآن كان المبرّد يقوم بنفس المهمّة، وعلى نطاق يشمل شعر العرب ونثرهم في كتابه (الكامل في اللغة والأدب)، ولكنه لم يكن بمستوى ابن قتيبة في التأويل والتوجيه البلاغي، وكان أقرب للتفسير اللغوي بمعناه العام.

بعد ذلك انبثت البلاغة التفسيرية في المؤلفات التفسيرية والشُّروح الشعرية والمصادر البلاغية، ولزمتْ التعليق على الشواهد وإيضاح الأساليب وتأويل المتشابه، وكان لها دورٌ أساسيٌّ في استنباط مزايا التراكيب واستخراج لطائف التأويل، كما يمثِّل ذلك أحسن تمثيل تفسير (الكشّاف) للزمخشري.

الرابع: المقصد الإعجازيّ (البلاغة الإعجازية):

ابتدأت العلاقة الفعلية بين البلاغة والإعجاز مع تأليف الجاحظ كتابه (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه)، والذي كان في إثبات إعجاز القرآن من جهة نظمه وتأليفه، كما هو واضح من عنوانه، والردِّ على أبي إسحاق النظّام وأصحابه ممن زعم أن القرآن حقّ، وليس تأليفه بحجّة، وأنَّ إعجازه إنما كان بصرف هِمم العرب عن أن يأتوا بمثله، ولكننا لا نستطيع أخذَ التصوّر الصحيح لهذه العلاقة بين البلاغة والإعجاز مع

فقدان كتاب الجاحظ، بيد أنه يمكن الاعتداد بهذه البداية وأثرها العميق في ربط الإعجاز بالبلاغة، ونشوء المقصد الإعجازي الذي أضاف للتأليف البلاغي مساراً جديداً، سيكون له أكبر الأثر في تأسيس البلاغة العلمية، وتطوير البلاغة النقدية والتفسيرية والإنشائية.

ثم جاء القرن الرابع وفيه كان الأكثرون من أهل النظر – كما يقول الخطابي – يُرجعون وجه الإعجاز إلى البلاغة[59]، من هؤلاء الخطابي (488هـ) نفسُه في (بيان إعجاز القرآن)، والرّماني (486هـ) الذي أرجع الإعجاز إلى سبع جهات، وسيّطر الوجه البلاغي على عموم رسالته (النُّكت في إعجاز القرآن)، ثم الباقلاني (403هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) حيث وسّع أطراف هذه الجهة، ثم القاضي عبد الجبار (415هـ) في كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، في الجزء الذي خصَّصه لإعجاز القرآن، حيث ركّز على أساسها في محاولته لتحديد مفهوم الفصاحة، ثم عبد القاهر الجرجاني (471هـ) الذي أخلص لها في (دلائل الإعجاز)، وربط الإعجاز بالنَّظم، وفسّر النظم تفسيراً علمياً، وأبان عن وجوهه بالتفصيل.

وكلُّ هؤلاء يُعدُّون من أصحاب المقصد الإعجازي، على اختلافهم في تناول البلاغة، واختلافهم في مداخل الإعجاز البلاغي، وعدمُ وصولهم إلى مقاصدهم لا يجرّدهم من الانتماء إلى هذا المقصد العزيز، كما لا ينفي أنهم وقفوا دون آمالهم وقد تقدّموا بالبحث في ذلك خطوات جليلة، لو لم تكن قد وقعت على وجه الإعجاز فإنما كانت تحومُ حوله، يحدوهم إلى ذلك إيمانٌ بأنّه "لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا أنَّ الوصفَ الذي له كان معجزاً قائمٌ فيه أبداً، وأنَّ الطريقَ إلى العلم به موجود، والوصولَ إليه ممكنٌ"[60].

والبلاغة التي يبحث فيها أصحاب المقصد الإعجازي هي البلاغة ذاتها التي يبحث فيها أصحاب المقاصد الأخرى، ولكنّهم يمتازون عن غيرهم بالبحث عما يميّز بلاغة القرآن عن بلاغة البشر، وتلك جهة ابتدأها أبو سليمان الخطابيّ، حين أخذ على الذين يرجّحون الوجه البلاغي في الإعجاز وقوفهم دون تحديده ولا إيضاحه، قال:"ولذلك صاروا إذا سُئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختصَّ بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميّز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا: إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمرٍ ظاهرٍ نَعلم به مباينةَ القرآن غيرَه من الكلام، وإنما يَعرفه العالمون به عند سماعه ضَرباً من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحالُوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع فيه التفاضل.. قلتُ – الخطابي –: وهذا لا يَقنعُ في مثل هذا العلم، ولا يَشفي من داء الجهل، وإنّما هو إشكالٌ أُحيل إلى إبهام"[61].

وقد طرح الخطابي ثلاثةَ أفكار رئيسة مترابطة في إزالة هذا الإبهام:

الأولى: الامتزاج الأسلوبي بين الفخامة والعذوبة.

الثانية: الكمال البياني في أركان الكلام الثلاثة: اللَّفظ والمعنى والنظم.

الثالثة: عمود البلاغة في وضع كلّ لفظ موضعه الأخصّ الأشكل به[62].

فهذه الصّفات الثلاث اختصتْ بها بلاغة القرآن، ولم توجد في غيره من كلام البلغاء، وهي محاولة جيدة من الخطابي في تمييز البلاغة الخاصّة من سائر البلاغات، تتفق مع مقصده رأساً، ولكنه انطبق عليها ما وصف به كلام سابقيه من الغموض والإبهام، حيث لم يُشفّع لها بأمثلة توضّحها ولا شواهد تُثبتها، اللهمّ إلا الفكرة الأخيرة، فاستشهاد الخطابي لها وتمثيله عليها قد مهّد في قبولها واعتمادها، وقد سمّاها عبد القاهر – فيما بعد – بحسن الدلالة[63].

واختلف الرّماني في مدخله عن الخطابي، فبحث الإعجاز من خلال أقسام البلاغة العشرة التي حصر البلاغة فيها[64]، فإذا كان الخطابي يبحث عن البلاغة التي تفرَّد بها القرآن، فالرماني يبحث عن البلاغة التي تفوّق بها القرآن؛ إذ تلك الأقسام موجودة في القرآن وكلام البلغاء على السَّواء.

فالاتفاق في المقصد الإعجازي لم يمنع من اختلاف الطريقة في الوصول إليه، وهذا ما أكّده الباقلاني حين رفض مدخل الرماني في الإعجاز البلاغي؛ بحجّة أن تلك الأبواب العشرة، وسائر أنواع البديع، إذا وقع التنبيه عليها أمكنَ التوصل إليها بالتدريب والتعوّد والتصنّع لها، "والوجوه التي تقول: إنّ إعجاز القرآن يمكن أن يُعلم منها، فليس مما يقدر البشر على التصنّع له والتوصل إليه بحال"[65]، ولم يشأ الباقلاني أن يصرّح باسم الرماني، فقال: ذكر بعض أهل الأدب والكلام: أن البلاغة على عشرة أقسام، ثم سرد كلام الرماني[66]، وعقّب عليها بما عقّب به الردّ على من أرجع الإعجاز إلى فنون البديع[67].

فعاد الباقلاني إلى ما كان يبحثه الخطابي، البلاغة الخاصّة بالقرآن، ولكنه على الأرجح لم يطلع على كتاب الخطابي[68]، ولو اطّلع عليه لظهر ذلك على مجريات بحثه، لاتفاقهما في المدخل الأساسي في البحث، وقد ركّز الباقلاني على ما ركّز عليه الخطابي، من أن الإعجاز في الأسلوب والطريقة، ولكنّ الخطابي نظر إليها من جهة التنوع بين الأساليب، والباقلاني نظر إليها من ناحية الاستواء والتفاوت، فافترقا في الطريق الموصل إلى المقصد الإعجازي.

فلما جاء القاضي عبد الجبار الهمذاني، رجع خطوة إلى الوراء، وحاول قبل كلِّ شيء أن يحدّد مفهوم الفصاحة والبلاغة، وهذه الخطوة كان قد مرّ عليها الرماني، وعرف البلاغة بأنها: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ[69]، وألمح إليها الخطابي في فكرة عمود البلاغة، وبحثها الباقلاني ونقل فيها تعاريف العلماء للبلاغة[70]، غير أنَّ الكلام في تعريف الفصاحة والبلاغة ما زال يكتنفه الغموض والإبهام، إحساسٌ صادق امتدّ من أبي سليمان الخطابي إلى عبد القاهر الجرجاني، وكانت خطوة القاضي عبد الجبار هي التي مهّدت لعبد القاهر، ووضعت القضية على محكّ البحث والنظر والأخذ والردّ.

وقد أفضى بحث القاضي عبد الجبار إلى أنَّ "الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة"[71]، وكان هذا المفهوم هو ما أدار عليه عبد القاهر تحقيقه في مفهوم النظم وأحكامه ووجوهه، وفضله تجلى على القاضي بتفصيله وحسن تحريره، وعلوّ تذوقه، واستحضاره للشواهد، وإحاطته بالشُّبه التي يمكن للخصم أن يتذرع بها في رد حقيقة النّظم، ومعاد مزيته إلى المعنى لا إلى اللّفظ.

وإذن فقد توقّف البحث الإعجازي عند الكشف عن معنى البلاغة كشفاً أزال إبهامهم، تمهيداً للاستدلال على إعجاز القرآن من هذه

الناحية، ولكنه لم يواصل مسيره بعد عبد القاهر، اللهم إلا من ناحية هذه البلاغة التي اكتشفها عبد القاهر وأعاد إليها وجه الإعجاز، وقد عبّر عنوان كتابه عن هذا المعنى فهو (دلائل الإعجاز)، أي: الوسائل المرشدة إلى معرفة الإعجاز.

والخلاصة التي ننتهي إليها أن دخول المقصد الإعجازي في بحث البلاغة، وإن لم يكن قد انتهى إلى مقصده الأساسي في الخلوص إلى بلاغة إعجازية خاصّة بالقرآن، يصحّ الاهتداء معها بتحديد مناط الإعجاز بدقّة وموضوعيّة، فإنه قد كان العامل الرئيسي في اكتشاف علم البلاغة، أو البلاغة العلمية باصطلاح هذه الدّراسة.

الخامس: المقصد العلميّ (البلاغة العلميّة):

كلُّ ما سبق من مقاصد هي مقاصد علميّة بالمعنى الوضعي للعلم الذي هو ضدّ الجهل، لا بالمعنى الاصطلاح الذي يقصر العلم على الصِّناعة المضبوطة بقواعد ثابتة وأصول واضحة، كعلم النحو وعلم المنطق وعلم الفقه وغيرها، والذي نعنيه هنا، فالبلاغة لم يتحَ لها أن تكوّن صورتها العلمية إلا في القرن الخامس الهجري، على يد عبد القاهر الجرجاني، وذلك بعدما تقدّم بها المقصد الإعجازي، وحقق لها هذا المقصد العلمي الذي استقرّت عليه، ولذا يُعدّ عبد القاهر هو مؤسس البلاغة العلمية بلا منازع.

وكان السياق التاريخي الخاصّ بالبلاغة قد وافق السِّياق العام في القرنين الرابع والخامس، والذي انكشفت عن حالة جديدة في العلوم، "وهي حالة الميل إلى النّظر والتفكير والنقد والتصحيح"[72]، ومما يدلل على ذلك أن ابن سنان الخفاجي (466هـ) معاصر عبد القاهر (471هـ) قد اتّجه نحو المقصد العلمي في تبيان حقيقة الفصاحة في كتابه (سرّ الفصاحة)، فاتفق مع غرض عبد القاهر، مع اختلاف وجهتهما، وعدم اطلاع أحدهما على الآخر، وهذا يؤكّد أن السِّياق العام – بالإضافة إلى السياق الخاصّ – قد وجَّه البحث البلاغي نحو المقصد العلمي ودفعها إليه دفعاً، وربما كان نتيجةً للإحساس المتواصل من البلاغيين بتأخّر البلاغة عن اللّحاق بالعلوم الأخرى التي استكملت صبغتها العلمية في ذلك الوقت.

والقضية الأمّ التي توجّه إليه المقصد العلمي، وتوسّع بها الاتجاه العلمي، هو حقيقة الفصاحة أو البلاغة ما هي؟ فهي التي توجّه إليها ابن سنان وبنى عليها كتابه، وأشار من عنوانه إلى أن ذلك سِرٌّ، أي: خفي (سرّ الفصاحة)، قال في بيان غرضه من كتابه: "اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرّها"[73].

وطريقة ترتيبه لمباحثه منبئةٌ أنه بصدد تصنيف يُراعي المنهجية العلمية في الانتقال من الجزء إلى الكلّ، فقد أولاً فصلاً في الأصوات، ثم فصلاً في الحروف، ثم فصلاً في الكلام، ثم فصلاً في اللغة، ثم أفرد للفصاحة وابتدأ من فصاحة المفردة وشروطها، ثم فصاحة الكلام، وكان هذا المبحث هو أسسه ابن سنان في البحث البلاغي، واعتمده المتأخرون في المتن البلاغي في مقدمة الفصاحة والبلاغة؛ لما رأوا فيه من صفات العلمية التي تتغيا ضبط الاستعمالات من خلال شرائط ومعايير موضوعية، من بعد الاستقراء والتتبع في كلام الفصحاء.

وما سوى ذلك من مباحث كتابه لم ينصبّ رأساً على تحقيق غرضه، ولم يضف به شيئاً جديداً على سابقيه، مما يتعلق بمسائل العلم وفروعه، فلا يُقارن مشروعه بمشروع عبد القاهر الذي فتّق مما وراء كلمات "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة" منظومة علمية ذات أسس ثابتة، وقواعد مطردة، قال عبد القاهر: "ولم أزلْ منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبئ ليُطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها"[74].

غاية عبد القاهر من بحثه هو تفسير هذه المصطلحات التي تعين العالِم على تحليل الكلام البليغ تحليلاً تبين معه مراتبه ومحلّه في درجات البلاغة، وصولاً إلى مرتبة الإعجاز، التي تنقطع عندها الأطماع، وتحسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز[75].

وقد تميّز عمل عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) بثلاث صفات حققت له الفرادة العلمية، ونقلت البلاغة إلى علم موضوعي، وصناعة منظّمة:

الأولى: كشف عن جوهرها، وأقام عليه سائر المبادئ البلاغية، فلا يشذّ عن مفهوم النظم ووجوهه شيءٌ من التراكيب والفنون والأساليب، التي أكثر البلاغيين الحديث عنها قبل عبد القاهر، حديثاً موزّعاً كل فنٍّ على انفراد.

الثانية: تأسيس القواعد داخل هذا المبدأ الكلي، من خلال وضع حدود فاصلة بين الفنون البلاغية، كتبيانه الفرق بين الاستعارة والتشبيه، وإفراد التقديم بمبحث، والحذف بمبحث، والفصل والفصل بمبحث، وهكذا، وقد تعمّق في بحث الفروق، فقسّم الاستعارة إلى عدة تقسميات وباعتبارات مختلفة، وهكذا فعل في التشبيه، ومع التقديم، والحذف، وسائر مباحثه.

الثالثة: الاستناد على استقراء كلام العرب في تأسيس القواعد، وكلّ خطوة كان يخطوها تستند إلى شاهد من كلام العرب أو من القرآن.

وقد اجتمعت هذه الصّفات فأنتجت علماً قادراً على تحليل تراكيب الكلام وصوره وفنونه، وإبراز خصائصه، وتفسير ظواهره، واستنباط مزاياه، غير أن عبد القاهر لبعد مقصده، وجديد ما يقوله، كان مهموماً بتوضيح الأساس وتنقيحه، والردّ على الشّبهات التي تحوم حوله، فتشعبت به الطّرق، واتسع تحريره وبيانه، وتعددت مقاصده داخل مقصد الأسمى، وامتدّ لقضايا نقدية ومبادئ إنشائية وقواعد تفسيرية، فصحّ أن يوصف عمله بأنه هضم جميع أفكار سابقيه على اختلاف مقاصدهم، ووضع أساس هذه البلاغة العلمية، وتوقف عند ذلك، دون مقصده الإعجازي الذي كان يصبو إليه.

ولما جاء الفخر الرازي (606هـ) وعى بقيمة عمل عبد القاهر، وعبّر عنه بعبارات صادقة، فذكر أنه "استخرجَ أصولُ هذا العلم وقوانينه، ورتّبَ حُججه وبراهينه، وبالغ في الكشف عن حقائقه، والفحص عن لفظه ودقائقه"[76]، وليلاحظ كلمة "بالغ في الكشف عن حقائقه" فلها دلالة

على استيعاب عبد القاهر لأصول العلم وأدلته، وسبل إيضاحه والاستدلال عليه، فوق أنه تعكس موقف الرازي الذي لن يتجاوز التلخيص والترتيب والتصنيف للمادة البلاغية الجرجانية[77]، ومقصده يبين من عنوانه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، فالدلالة في عنونة عبد القاهر أصبحت عنده دراية، وهو تقدّم لا أثرَ له في كتابه، الذي لم يُجاوز اختصار مباحث عبد القاهر وترتيبها على نحوٍ يُسهّل من عملية تلقيّها.

وفي حركة العلوم إذا بدأ التلخيص أو الشرح أو صناعة المتون كان ذلك شارة على استقرار العلم واكتمال تأسيسه، فالرازي بتلخيصه يظلّ هو الخطوة الداعمة لتأسيس عبد القاهر، مع كلّ ما يعتري كتابه من مآخذ لاحظها عليه البلاغيون.

وفي نفس القرن انبرى السكاكي (626هـ) لنفس المهمّة، مع اختلاف الوجهة، فصاغ علم البلاغة في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) صياغة علمية مستخلصة للقوانين والقواعد، ورتّب مباحثها بعناية ودقة، وبأسلوب يغلب عليه التجريد والتقرير، وربما الجفاف في بعض الأحايين.

وعنوانُ السكاكي مشيرٌ إلى مقصده العلمي، فكتابه مفتاحٌ للعلوم، والبلاغة أحد تلك العلوم، وقد سمّاها علمي المعاني والبيان[78]، وامتاز عمله بصرامة المنهجية العلمية، وحسن التنظيم، والوقوف مع تعاريف للمصطلحات، والمبالغة في التفريع والتقسيم، فوضع علم البلاغة في منوالٍ منطقي وبناء منهجي، سهّل على العلماء قبل المتعلمين استيعابه والارتياح لعمله، والوقوف مع نموذجه، فكان كتاب (تخليص المفتاح) وكان (الإيضاح) في تخليص المفتاح كلاهما للخطيب القزويني (739هـ)، وكان (المطول) و(مختصر المعاني في شرح تلخيص المفتاح) كلاهما للسّعد التفتازاني (792هـ)، وكان (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين السّبكي (773هـ)، وغيرها من الشروح والمختصرات والحواشي والتقارير التي دارت كلها حول اتجاه السّكاكي، ومن ثم حول المقصد العلمي الذي انتهت إليه البلاغة واستقرت عليه.

والملاحظ أن عناوين الكتب البلاغية منذ (مفتاح العلوم) تجرّدت من الإشارة إلى المقاصد البلاغية التي نبحثها، وانتقلت إلى المقاصد التأليفية في تلك الكتب، وهذا من علامات الاستقرار على المقاصد العلمية في التأليف، وهو توجّه عام أملاه على البلاغيين الظروف العلمية والتاريخية في تلك الفترة.

على أن هذه البلاغة العلمية لم تخلو بطبيعة الحال من ظلال البلاغات الأخرى التي أظلت البلاغة في أزمانها الأولى، كالبلاغة الإنشائية والبلاغة النقدية والبلاغة التفسيرية، لكنها كانت كلها خادمة إلى قصد بيان أسرار الكلام البليغ ومعرفة الإعجاز، وهما مقصدان نظريّان عنيت بهما البلاغة العلمية.

إننا يجب أن ندرك أن علم البلاغة يستعصي على البلورة العلمية التامة، كعلم النحو مثلاً؛ إذ طبيعة البلاغة قائمة على الذوق، وكلُّ الذين أسسوا القواعد وقرّروها كعبد القاهر والسّكاكي، أكّدوا على أساس الذوق في معرفة البلاغة، وتحليل الكلام البليغ، وبيان أسراره، ومعرفة الإعجاز، يقول السكاكي في بيان أصل مهم في بناء البلاغة العلمية: "وقبل أن نمنح هذه الفنون حقّها في الذكر ننبّهك على أصل لتكون على ذكر منه، وهو أن ليس من الواجب في صناعة، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل، أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها، في استفادة الذوق منها، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكّمات وضعيّة، واعتبارات فنيّة، فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلّد صاحبها في بعض فتاواه، إن فاته الذوق هناك، إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق، وكان شيخنا الحاتمي، ذلك الإمام الذي لن تسمح بمثله الأدوار، ما دار الفلك الدوار – تغمده الله برضوانه – يحلينا بحسن كثير من مستحسنات الكلام، إذا راجعناه فيها على الذوق، ونحن حينئذٍ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب، وصبغ بها يده، وعانى فيها وكده وكدّه، وهاهو الإمام عبدالقاهر – قدَّس الله روحه – في (دلائل الإعجاز) كم يعيد هذا"[79].

ويقول في موضع آخر في مخالفة الظاهر في استعمال الأخبار: "وإن هذا الفنّ فنٌّ لا تلين عريكته، ولا تنقاد قرونته، بمجرد استقراء صور منه، وتتبع مظانّ أخوات لها، وإتعاب النفس بتكرارها، واستيداع الخاطر حفظها وتحصيلها، بل لا بدّ من ممارسات لها كثيرة، ومراجعات فيها طويلة، مع فضل إلهي من سلامة الفطرة، واستقامة طبيعة، وشدة ذكاء، وصفاء قريحة، وعقل وافر"[80].

وملاحظة أخيرة يحسن تسجيلها، وهو أن البلاغة بعد السكاكي انتقلت من المنهج العلمي إلى المنهج التعليمي، في ضوء مقصدها العلمي، وفرقُ ما بين المنهجين أن الأوّل يبقى في دائرة البحث والمراجعة عن صيغة علمية أمثل، وتكون أوبته دائماً لمراجعة الأصول وتنقيحها، والنظر في المقاصد وتحديدها، وأما المنهج التعليمي فيظلُّ رهين الصّيغة التي استقرّ عليها العلم، ويدور عمله في تقريبها واختصارها ونقدها نقداً داخلياً لا يجاوز مسائلها التفصيلية.

الخاتمة:

قد كان محاولة إيجاز هذه الدراسة مع المحافظة على مسارها العام محكّاً حقيقياً في معالجة موضوع متشعبٍ كموضوع المقاصد، ومادة واسعة كالتاريخ البلاغي، وقد اجتهدنا ألا يؤثر على مجريات البحث هذا الاتساع وذلك التشعّب، وألا تأخذ بنا الإجابة على التساؤلات الصغيرة عن التساؤلات الكبرى التي هي مأمّ البحث ومقصوده، ومن أجل هذا المنهج الذي ارتضيناه تركنا نتائج البحث تتردد أصداؤها في أثناء المعالجات البحثية، وجاء الوقت لإظهارها وصياغتها صياغة جامعة، تفي بالروابط بين النتيجة وأختها، وتستخلص النتائج العامة بتحرير وإيجاز.

ونبدأ بنتيجتين مهمّتين دلّ عليهما البحث بكليّته:

الأولى: استنباط المقاصد من المصادر البلاغية كان يبتدئ من عناوين تلك المصادر، وقد وجدناها دالةً على مقاصدها البلاغية بصورة دقيقة ولافتة، منذ (البيّن والتبيّن) للجاحظ، و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، حتى (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني، وامتدّ ذلك إلى ابن الأثير في (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) للقرطاجني، والسَّكاكي في (مفتاح العلوم)، ثم لما استقرّ

العلم تحوّلت العناوين إلى عناوين تراعي المقاصد التأليفية لا المقاصد البلاغية، كـ (تلخيص المفتاح) و(الإيضاح) للقزويني، و(مختصر المعاني) و(المطوّل) للسعد التفتازاني.

الثانية: توافقُ مسار المقاصد البلاغية مع الحاجة العلمية لكلّ مرحلة تاريخيّة، وقد كنتُ غافلاً عن التساؤل عن ذلك حتى نبهتني إجابته عليه، فضمنّت في بعض المقاصد ما يدلّ على ذلك، وأشير – هاهنا – إلى أن حركة كلّ مقصد في نشأته وهيمنته حيناً وخفوته حيناً، كان يتناسب مع ما تقتضيه طبيعة مرحلته التاريخية، يَبين ذلك على العموم من الترتّب الذي أثبته الحركة التأليفية البلاغية: المقصد الإنشائي فالمقصد النقدي فالمقصد التفسيري فالمقصد الإعجازي فالمقصد العلمي، وقد نتج من هذا بلاغاتٌ مختلفة أكسبت البلاغة العربية سمة التكامل المعرفي، والثراء العلمي، ومن قرأ البلاغة بعين واحدة حُرِم من هذا التصوّر!

وأما النتائج التفصيلية التي أومأ إليها البحث فهي:

الأولى: كانت المقاصد بمثابة المحرّكات الداخلية لمجريات كلّ بحث بلاغي في المصادر البلاغية، فالتشابه في المادة البلاغية بين مصدر وآخر لا يُخوّل حمل أحدهما على الآخر، حتى يستنبط مقصد كلّ واحد منهما، وبذا بانت مساحة الاختلاف بين معالجة وأخرى، وبرزتْ البلاغات المختلفة على ضوء الاختلاف في مقاصدها.

الثانية: العقل البلاغي توصّل مبكراً لتعدد واختلاف مقاصد البلاغة، وظهر ذلك عملياً في جنبات المسائل وبواطن القضايا قبل ظهوره علميّاً فيما أسمته الدّراسة "مرحلة الدراسات"، حيث كانت أوّل محاولة لاستخلاص المقاصد البلاغية في مقدمة كتاب (الصّناعتين) لأبي هلال العسكري.

الثالثة: كان التصريح بالمقاصد لدى البلاغيين مُلازماً لسياقات بيان فضل البلاغة والدِّفاع عنها، وبيان قِيمها العظمى في الدّين والعِلم والأدب والحياة.

الرابعة: لا شيء يصوغ البلاغة ويشكّلها على ضوئه كالمقاصد، وقد تشكّلت خمس بلاغات تتكامل ولا تتفاصل، على ضوء خمسة مقاصد مختلفة: الإنشائي والنقدي والتفسيري والإعجازي والعلمي، وكان ذلك نتيجة انجذاب البلاغة إلى عدّة مجالات، وترعرعها في أحضان عدّة علوم، ومشاركة علماء من كافّة العلوم والاتجاهات في بنائها، وتلك ميزة لم نَرَها في غير البلاغة.

الخامسة: كلّ بلاغة من البلاغات الخمس لُوحظ فيها ما يميّزها عن غيرها، ويبرّر اختلافها واستقلال النظر إليها، وذلك أقرب لأن نسميّه بـ "المعالم"، وإيجاز ذلك في كلّ بلاغة على النحو الآتي:

معالم البلاغة الإنشائية:

1- أساس كلّ البلاغات، وجوهرها وغايتها، فإذا كانت كلّ البلاغات نظريّة فهذه البلاغة عملية، تتمثّل روح البلاغة لتمارسها.

2- بلاغة مفتوحة على الأجناس الأدبية كلّها، وربما كانت أقرب للكِتابة منها إلى الشّعر.

3- بلاغة تشمل أركان الكلام الثلاثة: المنشئ – الكلام – المتلقي.

4- تحوي اللغة والصَّوت والهيئة وكلّ ملابسات القول وأحواله.

5- هي أقرب للنصائح والوصايا والتجارب الإبداعية، وإن كانت لا تخلو من قواعد وقوانين.

6- مظهرها حسن العبارة وحسن الاختيار، فلا يتصوّر أن توجد البلاغة الإنشائية وهي فاقدة هذا المعطى؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه.

7- بلاغة صَنَعها الأدباء والبلغاء، وهي مستمدةٌ من تجاربهم.

معالم البلاغة النقدية:

1- بلاغة تخصّ الشّعر والنثر.

2- من وظائفها التقويم والتعليل والتوجيه والموازنة.

3- خطابها موجّه للناقد والمتذوّق.

4- يتركّز خطابها على الأوصاف التي تنعت مظاهر الكلام، وتبيّن طبقاته ومراتبه.

5- إذا كانت البلاغة الإنشائية ترتكز على التجربة العملية، فإنَّ البلاغة النقدية ترتكز على التجربة الذوقيّة.

معالم البلاغة التفسيرية:

1- بلاغة نظر وفحص وتأمّل.

2- تقوم على الكشف عن الأصول البلاغية في الإبانة عن المعاني.

3- تقوم على تفسير المعنى وتأويل اللفظ وتوجيه الأسلوب.

4- ترتكز على أسلوب المجاز وأساليب العدول.

5- تستند في التفسير على استحضار النظير والاستدلال به، لا للموازنة والتقويم، كما تفعل البلاغة النقدية.

6- تستعين بالبلاغة مرجّحاً من المرجّحات في حال الاختلاف.

معالم البلاغة الإعجازية:

1- بلاغة مفتوحة المجال على كلّ البلاغات، وليس لها وجودٌ مستقلّ على الحقيقة.

2- بلاغة تبحث عن الخصوصيّة والتفرّد والتفوّق القرآني.

3- عُنيت بالطرائق الموصلة إلى مقصدها، ولما تصل بعدُ إلى تحقيقه.

4- تستند إلى يقين جازم بأنّ الطريق إلى العلم بالإعجاز من طريق البلاغة موجود، والوصول إليه ممكن.

معالم البلاغة العلمية:

1- بلاغة ذات قواعد ومقررات مستقرأة من كلام العرب، ومعلّلة بأسباب موضوعية، ومؤسّسة على شواهد بليغة.

2- بلاغة مبلورة في منوال كليّ، يسهل على الدارس تعلّمها وتعليمها وتوظيفها.

3- موجّهة خطابها للناظر قبل المنشئ، وللمتلقي قبل المتذوّق.

4- بلاغة صناعية تمتاز بالاصطلاح وتجمع بين التمثيل والاستشهاد.

5- بلاغة جامعة توظّف كلّ البلاغات من أجل تحقيق مطالبها العلمية.

وأما توصية هذه الدراسة فهو توصية قرائيّة للباحثين في البلاغة العربية، أن يستوعبوا فيها هذا التكامل وهذا الاتساع وهذه الخصوبة، وألا تأخذ بهم العجلة وضيق النّظر على حصرها في مقصد واحد، أو مرحلة معيّنة، أو عالِم من علمائها، أو في علومها الثلاثة، فذلك أجدر بأن يضعوا الأمور في نِصابها، ويحسنوا في قراءتها، ويروا البلاغة الرّحبة التي لم تنضج ولن تحترق.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإفصاح والتصريحات:

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY- NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:

https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

قائمة المراجع:

* (مرتّبة بحسب تسلسل ورودها في البحث).

(1) الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، مادة (قصد)، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.

(2) الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، مادة (نهج)، (مرجع سابق).

(3) فيصل، شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي – عرض ونقد واقتراح، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1996م، (ص7).

(4) ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط8، 1992م، (ص19).

(5) زايد، علي عشري، البلاغة العربية تاريخها – مصادرها – مناهجها، مكتبة الآداب، القاهرة، ط7، 1430 - 2009م، (ص13).

(6) الدسوقي، محمد بن محمد عرفة، الحاشية على شرح السعد لتلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، دار السرور، بيروت، د.ط، د.ت، (49/1).

(7) الفوزان، عبد الله بن صالح، الوسيلة والبلاغة في شرح موجز البلاغة للعلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1443هـ، (ص52، 53).

(8) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2013م - 1434هـ، (ص10).

(9) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، (مرجع سابق)، (ص7، 8).

(10) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، (مرجع سابق)، (ص15).

(11) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424هـ - 2004م، (ص6).

(12) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، (ص6).

(13) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، اعتنى به وخرج شعره وعمل فهارسه: د. داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، عمان، ط1، 1427هـ - 2006م، (ص11).

(14) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، (مرجع سابق)، بتصرف، (ص11، 12).

(15) العلوي، الإمام يحيى بن حمزة، الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م، (5/1).

(16) الزمخشري، جار الله، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وبحواشيه أربعة كتب، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ - 2002م، (7/1).

(17) العلوي، الإمام يحيى بن حمزة، الطِّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (مرجع سابق)، (21،20/1).

(18) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ - 1983م، (ص7).

(19) القزويني، الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، حققه: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م، (ص5).

(20) طبانة، بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي، الرياض، ط7، 1408هـ - 1988م، (ص85).

(21) الجاحظ، أبو عثمان بحر بن عمرو، البيان والتبيّن، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، (135/1).

(22) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، (مرجع سابق)، (ص10).

(23) طبانة، بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، (مرجع سابق)، (ص146).

(24) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2006م، (ص16).

(25) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (مرجع سابق)، (ص16).

(26) ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، العراق، د.ط، 1375هـ، (ص1).

(27) ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، (مرجع سابق)، (ص3).

28() القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م، (ص5).

(29) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د.م، د.ط، 1411هـ - 1990م، (34/1، 48، 149، 190).

(30) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)، (303/1)، (244/2).

(31) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)، (140/1، 236).

(32) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)، (23/1).

(33) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)،

(159/1).

(34) ابـن الأثـير، المثـل السـائر في أدب الكاتـب والشـاعر، (مرجـع سـابق)، (158/1).

(35) أبو موسى، محمد محمد، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م، (ص32، 33).

(36) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (مرجع سابق)، (ص18).

(37) أبو موسى، محمد محمد، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، (مرجع سابق)، (ص34).

(38) أبو موسى، محمد محمد، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، (مرجع سابق)، (ص90).

(39) طبانة، بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، (مرجع سابق)، (ص127).

(40) البوشيخي، الشاهد، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب (البيان والتبيّن) للجاحظ، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، المغرب، ودار السلام للنشر والتوزيع، ط1، 1439هـ - 2018م، (ص47).

(41) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)، (49/1).

(42) ابـن المعتـزّ، عبـد الله، البـديع، دار الجيـل، بـيروت، ط1، 1410هـ - 1990م، (ص22).

(43) طبانة، بدوي، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، (مرجع سابق)، (ص122).

(44) ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1398هـ - 1978م، (ص15).

(45) ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، (مرجع سابق)، (ص18).

(46) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الشروق، عمان، ط1، الإصدار الخامس، 2011م، (ص182).

(47) الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1427هـ، (ص265).

(48) ابن المثنى، أبو عبيدة معمر، مجاز القرآن، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، (19/1).

(49) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، تأويل مشكل القرآن، تحقيق، السيد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، (ص23).

(50) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م، (131/1، 133).

(51) ابـن المثنى، أبـو عبيـدة معمـر، مجـاز القـرآن، (مرجـع سـابق)، (18/1، 19). وينظر: مقدمة الكتاب (8/1، 17).

(52) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، تأويل مشكل القرآن، (مرجع سابق)، (ص86). وينظر: (ص20، 21، 82، 235).

(53) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، تأويل مشكل القرآن، (مرجع سابق)، (ص21،20).

(54) الفرّاء، أبو زكريا، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، د.ت، (13/1).

(55) ابن المثنى، أبو عبيدة معمر، مجاز القرآن، (مرجع سابق)، (111/1).

(56) الطيار، مساعد بن سليمان، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (مرجع سابق)، (ص20).

(57) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مرجع سابق)، (50/1).

(58) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله، تأويل مشكل القرآن، (مرجع سابق)، (ص23).

(59) الجرجاني، والخطابي، والرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن للخطابي)، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت، (ص24).

(60) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، (ص10).

(61) الجرجاني، والخطابي، والرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن للخطابي)، (مرجع سابق)، (ص24).

(62) الجرجاني، والخطابي، والرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (بيان إعجاز القرآن للخطابي)، (مرجع سابق)، (ص26 وما بعدها).

(63) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، (ص43).

(64) الجرجاني، والخطابي، والرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن للرماني)، (مرجع سابق)، (ص76).

(65) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، ب.ت، (ص107).

(66) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، (مرجع سابق)، (ص262).

(67) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، (مرجع سابق)، (ص275).

(68) شاكر، أبو فهر محمود، مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني، مصر، ودار المدني، جدة، ط1، 1423هـ- 2002م، (ص85).

(69) الجرجاني، والخطابي، والرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن للرماني)، (مرجع سابق)، (ص75، 76).

(70) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، (مرجع سابق)، (ص126).

(71) الهمذاني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، الجزء السادس عشر (إعجاز القرآن)، قوّم نصه: أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، 1380هـ - 1960م، (199/16).

(72) ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب - التعليم العربي الإسلامي، دار سحنون، تونس، دار السلام، بيروت، ط2، 1428هـ - 2007م، (ص73).

(73) الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، (مرجع سابق)، (ص11).

(74) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، (ص34).

(75) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، (ص35).

(76) الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م، (ص74).

(77) الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، (مرجع سابق)، (75).

(78) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، (مرجع سابق)، (ص8).

(79) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، (مرجع سابق)، (ص169، 170).

(80) السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، (مرجع سابق)، (ص174، 175).

(28) Alqrtajny, hazm, mnhaj alblgha' wsraj aladba', thqyq: mhmd alhbyb abn alkhwjh, dar alghrb aleslamy, byrwt, t3, 1986m, (s5).
(29) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, thqyq: mhmd mhyy aldyn 'ebd alhmyd, almktbh al'esryh, d.m, d.t, 1411h - 1990m, (1/34, 48, 149, 190).
(30) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/303), (2/244).
(31) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/140, 236).
(32) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/23).
(33) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/159).
(34) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/158).
(35) Abw mwsa, mhmd mhmd, tqryb mnhaj alblgha' lhazm alqrtajny, mktbh whbh, alqahrh, t1, 1427h - 2006m, (s32, 33).
(36) Alqrtajny, hazm, mnhaj alblgha' wsraj aladba', (mrj'e sabq), (s18).
(37) Abw mwsa, mhmd mhmd, tqryb mnhaj alblgha' lhazm alqrtajny, (mrj'e sabq), (s34).
(38) Abw mwsa, mhmd mhmd, tqryb mnhaj alblgha' lhazm alqrtajny, (mrj'e sabq), (s90).
(39) Tbanh, bdwy, albyan al'erby drash fy ttwr alfkrh alblaghyh 'end al'erb wmnahjha wmsadrha alkbra, (mrj'e sabq), (s127).
(40) Albwshykhy, alshahd, mstlhat nqdyh wblaghyh fy ktab (albyan waltbyn) lljahz, m'essh albhwth waldrasat al'elmyh (mbd'e), almghrb, wdar alslam llnshr waltwzy'e, t1, 1439h - 2018m, (s47).
(41) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/49).
(42) Abn alm'etz, 'ebd allh, albdy'e, dar aljyl, byrwt, t1, 1410h - 1990m, (s22).
(43) Tbanh, bdwy, albyan al'erby drash fy ttwr alfkrh alblaghyh 'end al'erb wmnahjha wmsadrha alkbra, (mrj'e sabq), (s122).
(44) Abn j'efr, qdamh, nqd alsh'er, thqyq: kmal mstfa, mktbh alkhanjy, alqahrh, t3, 1398h - 1978m, (s15).
(45) Abn j'efr, qdamh, nqd alsh'er, (mrj'e sabq), (s18).
(46) 'Ebas, ehsan, tarykh alnqd aladby 'end al'erb (nqd alsh'er mn alqrn althany hta alqrn althamn alhjry), dar alshrwq, 'eman , t1, alesdar alkhams, 2011m, (s182).
(47) Altyar, msa'ed bn slyman, altfsyr allghwy llqran alkrym, dar abn aljwzy, alryad, t2, 1427h, (s265).
(48) Abn almthna, abw 'ebydh m'emr, mjaz alqran, thqyq: d. mhmd f'ead szkyn, mktbh alkhanjy, alqahrh, d.t, d.t, (1/19).
(49) Abn qtybh, abw mhmd 'ebd allh, tawyl mshkl alqran, thqyq, alsyd sqr, almktbh al'elmyh, byrwt, d.t, d.t, (s23).
(50) Sybwyh, 'emrw bn 'ethman, alktab, thqyq: 'ebd alslam mhmd harwn, mktbh alkhanjy, alqahrh, t3, 1408h - 1988m, (1/131, 133).
(51) Abn almthna, abw 'ebydh m'emr, mjaz alqran, (mrj'e sabq), (1/18, 19). wynzr: mqdmh alktab (1/8, 17).
(52) Abn qtybh, abw mhmd 'ebd allh, tawyl mshkl alqran, (mrj'e sabq), (s86). wynzr: (s20, 21, 82, 235).
(53) Abn qtybh, abw mhmd 'ebd allh, tawyl mshkl alqran, (mrj'e sabq), (s2021).
(54) Alfra', abw zkrya, m'eany alqran, thqyq: ahmd ywsf alnjaty, wmhmd 'ely alnjar, w'ebd alftah esma'eyl, dar almsryh lltalyf waltrjmh, msr, t1, d.t, (1/13).
(55) Abn almthna, abw 'ebydh m'emr, mjaz alqran, (mrj'e sabq), (1/111).
(56) Altyar, msa'ed bn slyman, altfsyr allghwy llqran alkrym, (mrj'e sabq), (s20).
(57) Abn alathyr, almthl alsa'er fy adb alkatb walsha'er, (mrj'e sabq), (1/50).
(58) Abn qtybh, abw mhmd 'ebd allh, tawyl mshkl alqran, (mrj'e sabq), (s23).

References

(1) Alazhry, abw mnswr, thdyb allghh, madh (qsd), thqyq: ryad zky qasm, dar alm'erfh, byrwt, t1, 1422h - 2001m.
(2) Alazhry, abw mnswr, thdyb allghh, madh (nhj), (mrj'e sabq).
(3) Fysl, shkry, mnahj aldrash aladbyh fy aladb al'erby - 'erd wnqd waqtrah, dar al'elm llmlayyn, byrwt, t7, 1996m, (s7).
(4) Dyf, shwqy, alblaghh ttwr wtarykh, dar alm'earf, msr, t8, 1992m, (s19).
(5) Zayd, 'ely 'eshry, alblaghh al'erbyh tarykhha - msadrha - mnahjha, mktbh aladab, alqahrh, t7, 1430 - 2009m, (s13).
(6) Aldswqy, mhmd bn mhmd 'erfh, alhashyh 'ela shrh als'ed ltlkhys almftah (dmn shrwh altlkhys), dar alsrwr, byrwt, d.t, d.t, (1/49).
(7) Alfwzan, 'ebd allh bn salh, alwsylh walblaghh fy shrh mwjz alblaghh ll'elamh alshykh mhmd altahr abn 'eashwr, dar abn aljwzy, aldmam, t1, 1443h, (s52, 53).
(8) Al'eskry, abw hlal, alsna'etyn, thqyq: 'ely mhmd albjawy, wmhmd abw alfdl ebrahym, almktbh al'esryh, byrwt, d.t, 2013m - 1434h, (s10).
(9) Al'eskry , abw hlal, alsna'etyn, (mrj'e sabq), (s7, 8).
(10) Al'eskry , abw hlal, alsna'etyn, (mrj'e sabq), (s15).
(11) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, qrah w'elq 'elyh: abw fhr mhmwd mhmd shakr, mktbh alkhanjy, alqahrh, t5, 1424h - 2004m, (s6).
(12) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, (mrj'e sabq), (s6).
(13) Alkhfajy, abn snan, sr alfsahh, a'etna bh wkhrj sh'erh w'eml fharsh: d. dawd ghtashh alshwabkh, dar alfkr, 'eman, t1, 1427h - 2006m, (s11).
(14) Alkhfajy, abn snan, sr alfsahh, (mrj'e sabq), btsrf, (s11, 12).
(15) Al'elwy, alemam yhya bn hmzh, altraz lasrar alblaghh w'elwm hqa'eq ale'ejaz, thqyq: d. 'ebd alhmyd hndawy, almktbh al'esryh, byrwt, t1, 1423h - 2002m, (1/5).
(16) Alzmkhshry, jar allh, tfsyr alkshaf 'en hqa'eq ghwamd altnzyl w'eywn alaqawyl fy wjwh altawyl, wbhwashyh arb'eh ktb, rtbh wdbth wshhh: mhmd 'ebd alslam shahyn, dar alktb al'elmyh, byrwt, t3, 1424h - 2002m, (1/7).
(17) Al'elwy, alemam yhya bn hmzh, altraz lasrar alblaghh w'elwm hqa'eq ale'ejaz, (mrj'e sabq), (1/2021).
(18) Alskaky, abw y'eqwb, mftah al'elwm, dbth wktb hwamshh w'elq 'elyh: n'eym zrzwr, dar alktb al'elmyh, byrwt, t2, 1407h - 1983m, (s7).
(19) Alqzwyny, alkhtyb, altlkhys fy 'elwm alblaghh, hqqh: d. 'ebd alhmyd hndawy, dar alktb al'elmyh, byrwt, t1, 1418h - 1997m, (s5).
(20) Tbanh, bdwy, albyan al'erby drash fy ttwr alfkrh alblaghyh 'end al'erb wmnahjha wmsadrha alkbra, dar almnarh, jdh, dar alrfa'ey, alryad, t7, 1408h - 1988m, (s85).
(21) Aljahz, abw 'ethman bhr bn 'emrw, albyan waltbyn, thqyq: 'ebd alslam harwn, dar aljyl, byrwt, d.t, d.t, (1/135).
(22) Al'eskry , abw hlal, alsna'etyn, (mrj'e sabq), (s10).
(23) Tbanh, bdwy, albyan al'erby drash fy ttwr alfkrh alblaghyh 'end al'erb wmnahjha wmsadrha alkbra, (mrj'e sabq), (s146).
(24) Alqyrwany, abn rshyq, al'emdh fy mhasn alsh'er wadabh wnqdh, thqyq: mhmd mhyy aldyn 'ebd alhmyd, dar altla'e'e, alqahrh, t1, 2006m, (s16).
(25) Alqyrwany, abn rshyq, al'emdh fy mhasn alsh'er wadabh wnqdh, (mrj'e sabq), (s16).
(26) Abn alathyr, dya' aldyn, aljam'e alkbyr fy sna'eh almnzwm walmnthwr, thqyq: mstfa jwad, mtb'eh almjm'e al'elmy, al'eraq, d.t, 1375h, (s1).
(27) Abn alathyr, dya' aldyn, aljam'e alkbyr fy sna'eh almnzwm walmnthwr, (mrj'e sabq), (s3).

(59) Aljrjany, walkhtaby, walrmany, thlath rsa'el fy e'ejaz alqran (byan e'ejaz alqran llkhtaby), hqqha w'elq 'elyha: mhmd khlf allh ahmd, wd. mhmd zghlwl slam, dar alm'earf, alqahrh, t4, d.t, (s24).
(60) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, (mrj'e sabq), (s10).
(61) Aljrjany, walkhtaby, walrmany, thlath rsa'el fy e'ejaz alqran (byan e'ejaz alqran llkhtaby), (mrj'e sabq), (s24).
(62) Aljrjany, walkhtaby, walrmany, thlath rsa'el fy e'ejaz alqran (byan e'ejaz alqran llkhtaby), (mrj'e sabq), (s26 wma b'edha).
(63) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, (mrj'e sabq), (s43).
(64) Aljrjany, walkhtaby, walrmany, thlath rsa'el fy e'ejaz alqran (alnkt fy e'ejaz alqran llrmany), (mrj'e sabq), (s76).
(65) Albaqlany, abw bkr mhmd bn altyb, e'ejaz alqran, thqyq: alsyd ahmd sqr, dar alm'earf, alqahrh, t5, b.t, (s107).
(66) Albaqlany, abw bkr mhmd bn altyb, e'ejaz alqran, (mrj'e sabq), (s262).
(67) Albaqlany, abw bkr mhmd bn altyb, e'ejaz alqran, (mrj'e sabq), (s275).
(68) Shakr, abw fhr mhmwd, mdakhl e'ejaz alqran, mtb'eh almdny, msr, wdar almdny, jdh, t1, 1423h- 2002m, (s85).
(69) Aljrjany, walkhtaby, walrmany, thlath rsa'el fy e'ejaz alqran (alnkt fy e'ejaz alqran llrmany), (mrj'e sabq), (s75, 76).
(70) Albaqlany, abw bkr mhmd bn altyb, e'ejaz alqran, (mrj'e sabq), (s126).
(71) Alhmdany, alqady 'ebd aljbar, almghny fy abwab altwhyd wal'edl, aljz' alsads 'eshr (e'ejaz alqran), qwm nsh: amyn alkhwly, wzarh althqafh walershad alqwmy, msr, 1380h - 1960m, (16/199).
(72) Abn 'eashwr, mhmd altahr, alys alsbh bqryb - alt'elym al'erby aleslamy, dar shnwn, twns, dar alslam, byrwt, t2, 1428h - 2007m, (s73).
(73) Alkhfajy, abn snan, sr alfsahh, (mrj'e sabq), (s11).
(74) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, (mrj'e sabq), (s34).
(75) Aljrjany, 'ebd alqahr, dla'el ale'ejaz, (mrj'e sabq), (s35).
(76) Alrazy, fkhr aldyn, nhayh aleyjaz fy drayh ale'ejaz, thqyq: bkry shykh amyn, dar al'elm llmlayyn, byrwt, t1, 1985m, (s74).
(77) Alrazy, fkhr aldyn, nhayh aleyjaz fy drayh ale'ejaz, (mrj'e sabq), (75).
(78) Alskaky, abw y'eqwb, mftah al'elwm, (mrj'e sabq), (s8).
(79) Alskaky, abw y'eqwb, mftah al'elwm, (mrj'e sabq), (s169, 170).
(80) Alskaky, abw y'eqwb, mftah al'elwm, (mrj'e sabq), (s174, 175).